كليلة و دمنـة

obeikandl.com

obeikandl.com

عبد الله بن المقفّع

كليلة ودمنة

منشورات الحضارة

obeikandl.com

كليلة ودمنة

التدقيق اللغوي: د. عبد القادر فضيل

الإشراف: رابح خدوسي

جميع الحقوق محفوظة

طبعة 2016

منشورات الحضارة

دار نور شاد

الإيداع القانوني :2009-768

ردمك : 978-9961-9851-2-0

ص ب 04 (A) بئر التوتة - الجزائر 16045

هاتف/فاكس: 73. 31.77. 23 (00213)

البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com

obeikandl.com

عرض الكتاب

لعبد الله بن المقفع

هذا كتاب كليلة ودمنة، وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا، ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يعقل عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل، ويطلبون إخراج ما عندهم من العلل. فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب، ولخّصوا فيه من بليغ الكلام ومتقنه على أفواه الطير والبهائم والسباع، فاجتمع لهم من ذلك أمران: أما هم فوجدوا متصرفا في القول، وشعابا يأخذون فيها، وأما هو فجمع لهوا وحكمة، فاجتباه الحكماء لحكمته، والسخفاء للهوه. وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه، وخفّ عليهم حفظه، فإذا احتنك الحدث واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبّر ما كان حفظ منه، وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ماهو، عرف أنه قد ظفر من ذلك بكنوز عظام، فكان كالرجل يدرك فيجد أباه قد كنز له من الذهب والفضة، واعتقد له ما

استغنى به عن استقبال السعي والطلب. ولم يكن – إذ كثرت صنوف أصول العلم ثم تفرّعت فروعها – بدّ من تكثر العلل التي تجري عليها أقاويل العلماء.

فأوّل ما ينبغي لمن طلب هذا الكتاب أن يبتدئ فيه بجودة قراءته، والتثبّت فيه، ولا تكون غايته منه بلوغ آخره قبل الإحكام له، فليس ينتفع بقراءته ولا يفيد منه شيئا. وإن طمحت عيناه إلى جمعه، ولم يأخذ منه ما يعي الأول فالأول، فإنه خليق ألاّ يصيب منه إلاّ كما أصاب الرجل الذي بلغني أنه رأى في بعض الصحاري كنزا، فلما كشف عنه ونظر إليه رأى شيئا عظيما، لا عهد له بمثله، فقـــال في نفسه:

– إن أنا أحرزت ما ههنا بنقله وحدي لن أنقله إلاّ في أيام، وجعلت لنفسي عملا طويلا، ولكن أستأجر رجالا يحملونه، ففعل ذلك، وجاء بالرجال فحمل كل واحد منهم ما أطاق، وانطلقوا فيما زعم إلى منزله، فلم يزل دائبا حتى فرغ واستنفد الكنز كله، ثم انطلق إلى منزله بعد الفراغ فلم يجد شيئا، ووجد كل رجل منهم قد حاز ما حمل لنفسه، ولم يكن له إلاّ العناء فـــي استخراجه والتعب عليه.

فليس ينبغي أن يجاوز شيئا إلى غيره، حتى يحكمه ويتثبّت فيه، وفي قراءته وإحكامه، فعليه بالفهم لما يقرأ، والمعرفة حتى يضع كل شيء موضعه، وينسبه إلى معناه، ولا يعرض في نفسه، أنه إذا أحكم القراءة له، وعرف ظاهر القول، فقد فرغ ممّا ينبغي له أن يعرف منه، كما أنّ رجلا لو أتي بجوزٍ صحيح في قُشوره لم ينتفع به حتى يكسره ويستخرج ما فيه، فعليه أن يعلم أن له خبيئا وأن يلتمس علم ذلك. ولا يكن كالرجل الذي بلغني أنه طلب علم الفصاحة فأتى صديقا له ومعه صحيفة صفراء، فسأله أن يكتب له فيها علم العربية. فكتب له في الصحيفة ما أراد.

فانطلق الرجل إلى منزله وجعل يقرأها ولا يدري ما معناها، وظنّ أنه قد أحكم ما في الصحيفة، وأنه تكلم في بعض المجالس، وفيه جماعة من أهل الأدب والفصاحة، فقال له بعضهم:

- لحنت.

فقال:

- ألحن والصحيفة الصفراء في منزلي؟، فالمرء حقيق أن يطلب العلم فإذا وجد حاجته منه وفهمه وعرفه وبلغ غايته

منه، انتفع بما يرى فيه من الأدب، فإنه يقـــال في أمرين لا ينبغي لأحد أن يقصّر فيهما، بل يكثر منهما: حسن العمل والتزود للآخرة.

ويقـــال أيضا في أمرين يحتاج إليهما كلّ من احتاج إلى الحيـــاة:

المـــال والأدب،

ويقـــال في أمرين لا ينبغي لأحد أن يستكبر عنهما:

الأدب والموت، ويقـــال:

إنّ الأدب يجلو العقل كما يجلو الودك النار، ويزيدها ضوءا، والأدب يرفع صاحبه كما ترفع الكرة يضربها الرجل الشديد. والعلم ينجي من استعمله، ومن علم ولم يستعمل علمه لم ينتفع بعلمه، وكان كمثل الرجل الذي بلغني أن سرّاقا دخل عليه في منزله فاستيقظ الرجل فقـــال في نفسه:

– لأسكتنّ حتى أنظر غاية ما يصنع، و لأتركنّه حتى إذا فرغ مما يأخذ قمت إليه فنغّصت ذلك عليه وكدّرته، فسكت وهو في فراشه، وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه، حتى غلب على صاحب البيت النّعاس، وحمله النوم، فنام ووافق ذلك فراغ السراق، فعمد إلى جمع ما كان قد جمعه،

فاحتمله وانطلق به، واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئا. فجعل يلوم نفسه ويعاقبها، ويعضّ كفّيه أسفا، وعرف أنّ فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئا، إذ لم يستعملهما.

والعلم لا يتم لامرئ إلاّ بالعمل، والعلم هو الشجرة، والعمل هو الثمرة، وإنّما يطلب الرجل العلم لينتفع به، فإن لم ينتفع به فلا ينبغي أن يطلبه، وربّ رجل لو قيل له:

- إنّ رجلا كان عارفا بطريق مخوف ثم ركبه فأصابه فيه مكروه أو أذى، لتعجب من جهله وفعله، ولعله أن يكون يركب من الأمور ما يعرف به القبح والذّم وشّر العاقبة، وهو بذلك أشدّ استيقانا من ذلك الرجل الذي ركب الهول بجهله، وحمله على ذلك هواه. ومن لم ينتفع بمعرفته كان كالمريض العالم الذي يعلم ثقيل الطعام من خفيفه، ثم تحمله الشهوة على أكل الثقيل منه.

فأقلّ الناس عذرا في ترك الأعمال الحسنة من قد عرف فضلها، وحسن عائدتها، وما فيها من المنفعة، وليس يعذره أحد على الخطأ، كما أنه لو أنّ رجلين، احدهما أعمى والآخر بصير، وقعا في جبّ فهلكا جميعا، ولم ينج البصير من الهلكة -لأنه صار

والأعمى في الجبّ بمنزلة واحدة- لكان البصير عند العقلاء أقلّ عذرا من الأعمى.

ومن كان يطلب العلم ليعلّمه غيره، وليعرّفه سواه، فإنما هو بمنزلة العين التي ينتفع الإنسان بمائها، وليس لها من تلك المنفعة شيء، فإنّ خلالا ثلاثا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتبسها: منها العلم، ومنها المال، ومنها اتخاذ المعروف، وقد قيل:

إنه لا ينبغي لطالب أن يطلب أمرا إلاَّ من بعد معرفته بفضله، فإنه يعدّ جاهلا من طلب أمرا وعنى نفسه فيه وليس له منفعة.

وقد نرى بعض من يقرأ هذا الكتابَ فيعجب منه، ويجهد نفسه في حفظه، ويترك العمل به، (ولا ينبغي للعالم أن يعيب أحدا بما هو فيه) فيكون كالأعمى الذي عيّر الأعور بعَوره.

وينبغي لمن عقل ألاَّ يطلب أمراً فيه مضرة لصاحبه، يطلب بذلك صلاح نفسه فإنَّ الغادر مأخوذ.

ومن فعل ذلك كان خليقا أن يصيبه ما أصاب الرجل الذي بلغني أنه كان يبيع السِّمسم، وكان له شريك، فكان سمسمهما في بيت واحد، غير أنّ الذي لكل واحد منهما على حِدَة، فأحب أحدهما أن يذهب بالذي لشريكه من السمسم، ثم أحبّ

أن يجعل له علامة حتى إذا دنا الليل عرفه بها، فعمد إلى ردائه فغطّاه به، ثم انطلق إلى صديق له فأخبره بالذي همَّ به، وسأله أن يعينه عليه، فأبى صديقه ذلك، إلاَّ أن يجعل له نصف ما يأخذ منه، ففعل، ثم إن شريكه دخل البيت فرأى سمسمه مغطًّى برداء صاحبه، فظنّ أنه غطّاه حفاظا عليه من التراب والدواب، فقـــال في نفسه:

- لقد أحسن شريكي في تغطيته سمسمي وإشفاقه عليه، وسمسمُه أحقُّ أن يُغطَّى بردائه، فحوّل الرداء على سمسم صاحبه، فلما كان في الليل جاء التاجر، والرجل معه، ودخلا البيت وهو مُظلم، فجعل الرجل يلتمس ويجس حتى وقعت يده على الرداء المغطِّي على السمسم، وهو يقدر أنه كما غطَّاه، وأنه سمسم صاحبه، فأخذ نصفه وأعطى صديقه الذي عاونه نصفه. فلما أصبح جاء هو وشريكه حتى دخلا البيت، فلما رأى الرجل أنّ الذي ذهب سمسمه، ورأى سمسم صاحبه على حاله، دعا بالويل، وعرف أنّ الذي أخذه ذلك الرجلُ ليس برادِّه، ويخشى أن تكون فيه فضيحتُه، فلم يقُل شيئا.

وينبغي لمن طلب أمراً أن تكون له غايةُ ينتهي إليها، فإنه من سعى إلى غير غاية أوشكَ أن يكون فيه عناؤه، وتقومَ فيه

دابّته. وهو حقيق ألاّ يُعنّيَ نفسه بطلب ما لا يجد، وأن يكون لآخرته مؤثراً على دنياه، فإنه قد قيل:

– مَن قلّ تعلّقه بالدنيا قَلَّت حسرتُه عند فراقها، وينبغي له ألاّ ييئس من أن يُصيبَ ذلك وإن قسا قلبه، فإنه يقــال في أمرين يجملان بكل أحد، وهما النُّسْك والمال، وإنما مثل ذلك كالنار المتأجّجة التي لست تقذف إليها حطبا إلاّ قبلته وكان لها موافقا.

وربما أصاب الرجلُ الشيء وهو غيرُ راجٍ له، كما أصاب الرجل الذي بلغني أنه كانت به حاجة شديدة، وخَلَّةٌ ظاهرة، وفاقة وعُري. فغدا يطلبُ من معارفه وشكا إليهم، وسألهم ثوبا يلبَسُه، وجهد فلم يصب شيئا، ورجع إلى منزله وهو آيس، فبينما هو نائم على فراشه إذا بسارق قد دخل عليه في منزله فلما رآه الرجل قـــال:

– ما في منزلي شيء يستطيع هذا السارق أن يسرقه، فليصنع ما يشاء، وليجهد نفسه، وإنّ السارق دار في البيت، وطلب فلم يجد شيئاً يأخذه، فغاظه ذلك، وقـــال في نفسه :

– ما أرى ههنا شيئاً، وما أحبُّ أن يذهب عنَائي باطلا، فانطلق إلى خابية فيها شيءُ من بُر، فقـــال:

– ما أجد بدّا من أخذ هذا البُر إذ لم أجد غيره، فبسط ملحفة كانت عليه، وصبّ ذلك البُّر فيها، فلما بصُر به الرجل قد جعل البُّر في الملحفة وهو يريد أن ينطلق بها قـــال:

– ليس على هذا صبْر، يذهب البُّر ويجتمعُ علي أمران: الجوع والعُري، ولن يجتمعا على أحد إلاّ أهلكاه. فصاح بالسارق فهرب من البيت وترك الملحفة، فأخذها صاحبُ المنزل فلبسها وأعاد البُّر إلى مكانه. فليس ينبغي لأحد أن ييأس، ولا يطلب ما لا يُنال، ولكن لا يَدع جهدا في الطلب على معرفة، فإنّ الفضل والرزق يأتيان من لا يطلبهما، ولكن إذا نظر في ذلك وجد من طلب وأصاب أكثَر ممّن أصاب بغير طلب، ولم يكن حقيقا أن يقتَدي بذلك الواحد الذي أصاب من غيرِ طلب، ولكن يقتدي بالكثير الذين طلبوا فأصابوا.

وحق على المرء أن يُكثر المقايسة، وينتفعَ بالتجارب، فإذا أصابه الشيء فيه مضَرّة عليه حَذِره وأشباهَه، وقاس بعضه ببعض، حتى يحذر الشيءَ بما لَقي من غيره، فإنه إن لم يحذَر إلاّ الذي لقي بعينه لم يُحكم التجارب في جميع عُمره، ولم يزل يأتيه شيء لم يكن أتاه بعينه، فأما الذي ينبغي ألاّ يدعَه على حال فأن يحذر ما قد أصابه، وينبغي له مع ذلك أن يحذر ما يصيب

obeikandi.com

غيره من الضرر حتى يسلَم من أن يأتيَه مثله، ولا يكون مثله كمثل الحمامة التي يؤخذ فرخاها فيذبحان، وترى ذلك في وكرها، ولا يمنعها من الإقامة في مكانها حتى تؤخذ هي فتذبح.

وينبغي له مع ذلك أن يكون للأمور عنده حدّ لا يجوزه ولا يقصِّر عنه، فإنه من جاز الحدَّ كان كمن قصَّر عنه، لأنهما خالفا الحدّ جميعا، وينبغي له أن يَعلم أنّ كل إنسان ساعٍ، فمن كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه. ويقال في ثلاثة أشياء..

يحقّ على صاحب الدنيا إصلاحُها وأن يتدارك لنفسه فيها: أمر دنياه، وأمر معيشته، وأمر ما بينه وبين الناس، وقد قيل في أمور شَتّى:

من كانت فيه لم يستقم أمره له: منها التواني في العمل، ومنها التضييع للفرص، ومنها التصديق لكل مُخبِر، وربَّ رجلٍ يُخْبَر بالشيء لا يقبله، ولا يعرف استقامته فيصدِّقُ به لما يرى من تصديق غيره، فيتمادى في الخطأ، ولا يتوانى في النظر. وينبغي له إذا التبس عليه أمر، ألاّ يلِج في شيء منه، ولا يقدم عليه قبل

أن يستيقن بالصواب منه، فيكون كالرجل الذي يجور عن سنن الطريق بعدا، أو كالرجل الذي يدخل في عينه القَذى فلا يزال يدلكها حتى يَعلُوها البياض فتذهب. وعلى العاقل ألاّ يأخذَ إلاّ بالحزم، ويعلمَ أنّ الجزاء كائن. ومن أتى إلى صاحبه بمثل ما أُوتِيَ إليه فشقّ عليه فقد ظلم.

فمن قرأ هذا الكتاب فليقتدِ بما في هذا الباب، فإنني أرجو أن يزيده بصرا ومعرفة، فإذا عرفه اكتفى واستغنى عن غيره، وإن لم يعرفه لم ينتفع به، فيكون مثله كمثل الذي رمى بحجر في ظلمة الليل، فلا يدري أين وقع الحجر ولا ماذا صنع.

وإناّ لما رأينا أهل فارس قد فسَّروا هذا الكتاب وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا بابا بالعربية ليكون له أُسّا ليستبين فيه أمر هذا الباب لمن أراد قراءته، وفهمَه، والاقتباس منه.

فأوّل ما نبتدئ بذكر بعث برزويه إلى بلاد الهند .

obeikandi.com

obeikandl.com

بـاب
توجيه كسرى أنوشروان
برزويه إلى بلاد الهند

o-beikanl.com

obeikandl.com

باب
توجيه كسرى أنوشروان برزويه إلى بلاد الهند

قـــال بُزُرجِمِهر:

أما بعد، فإنّ الله، تبارك وتعالى، خلق خَلقه برحمته، ومنَّ على عباده بفضله، ورزقهم ما يقدرون به على إصلاح شانهم ومعاشهم في الدنيا، وما يدركون به استنقاذَ أرواحهم من ألم العذاب، وأفضل ما رزقهم الله، ومنَّ عليهم به العقل، الذي هو قوة لجميع الأشياء، فما يقدر أحد من الخلق على إصلاح معيشة، ولا اجترار منفعة، ولا دفع مضّرة إلاّ به. وكذلك طالب الآخرة المجتهد على استنقاذ روحه من الهلكة. فالعقل سبب

obeikandi.com

لكل خير، وهو مكتسب بالتجارب والآداب، وغريزة مكنونة في الإنسان كامنة ككمون النار في الحجر والعود، لا ترى حتى يقدحها قادح من غيرها، يُظهر ضوءها وحريقها، كذلك العقل من الإنسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتقوِّيه التجارب، فإذا استحكم كان هو وليَّ التجارب والمقوي لكل أدب، والمميّز لجميع الأشياء، والدافعَ لكل ضرّ، فلا شيء أفضل من العقل والأدب. فمن منّ عليه خالقه بالعقل، وأعان هو على نفسه بالمثابرة على الأدب والحرص عليه والعقل هو المقوّي الملك السعيد الجدّ، الجليل المرتبة، ولا تصلح السُّوقة إلاّ عليه، وعلى تدبيره .

وقد جعل الله لكل شيء سببا، ولكل سبب علّة، ولكل علّة مجرى، وكان من علّة انتساخ هذا الكتاب، ونقله من بلاد الهند إلى مملكة فارس، إلهامُ الله تعالى أنوشروانَ كسرى ابن قُباذَ في ذلك، لأنه كان من أفضل ملوك فارس علما وحكما ورأيا، وأكثرهم بحثا عن مكامن العلم والأدب، و أحرصهم على طلب الخير، وأسرعهم إلى اقتناء ما يزينه بزينة الحكمة، وفي معرفة الخير من الشرّ، والضرّ من النفع، والصديق من العدوّ، ولم يكن يعرف ذلك إلاّ بعون الله خُلَفاءه، وساسة عباده وبلاده، لإقامة رعيّته وأموره، فكان مما خصَّ الله به

كسرى أنـوشـروان أن أكرمه بهذه الكرامة، ورزقـه هـذه النعمــة، حتى استوثقت له الرعية، وأذعنت له بالطّاعة، وصفـت له الدنيا، وانقادت الملوك له، فركنت إلـى طاعتــه، وتلك نعمة من الله سابغـة، قسمهــا له في دولته، وعبـاب مُلكه.

فبينما هو في عزّ ملكه وبهاء سلطانه إذ بلغه أنّ بالهند كتـابا من تاليف العلماء، و ترصيف الحكماء، و تدبير الفهماء، وقـد ميزت أبوابه، وأثبتت عجائبه، على أفواه الطير والبهائم والوحش والسباع والهوامّ، وسائر حشرات الأرض، مما يحتاج إليه الملوك في سياسة رعيتّها وإقامة أودها وإنصافها. فـلا قـوام للـرعيّـة إلاّ بحسن سياسة الملوك، وسعة أخلاقها، ورأفتـها ورحمتها، ولذلك لم يدع كسرى أنوشروان اقتناء ذلك الكتـاب الذي بلغه عنه أنه ببلاد الهند، وضمَّه إلى نفسه، والاستعانـة بـه على سياسته، والعمل بحسن تدبيره.

فلما عزم على ما أراد من أمره، وهمّ بالبعثة في طلـب كتاب كليلة ودمنـة، و انتساخه قـال في نفسه:

من لهذا الأمر العظيم، والأدب النفيـس، والخطـب الجليل الذي يَزّيّن بـه ملـوك الهنـد دون ملوك فـارس؟ وقـد هممـنا ألاّ نـدع ـ مع السفر، وصعوبة الأمر، ومخاطر الطريـق، وكثـرة

النفقة ـ طلب هذا الكتاب حتى نصل إلى نسخه، ونقف على إتقانه، ورصانة أبوابه، وعجائبه. ولا بدّ لنا من أن ننتخب من نُريد إرساله في ذلك من هذين الصنفين من الكتّاب والأطبّاء، فإنّ أهل هذين يجتمع عندهم جوامع من بحور الأدب، وكنوز الحكمة في أناة وتُؤدة، وتجربة ونفاذ حيلة، وتحفّظ وتحرّز، وكمال مروءة، ودهاء وفطنة، وحلم وتصنع، ولطف سياسة وكتمان سرّ.

فلما فحص الرأي فيما أجمع عليه، اختار في مملكته، وانتخب من علمائه، فلم يجد أحدا على نحو ذلك إلا ـ برزَويه بن آذرهربد ـ في الأصل ـ أدرهرير ـ ، [ونظنّها محرّفة عن آذر هربد] أي سادن النار ـ ، وكان من رؤساء أطباء فارس ومن أبناء مُقاتِلتها. فدعاه كسرى وقال له:

إنا قد انتخبناك لموضع حاجتنا، وتفرسنا فيك الخير، وأملنا فيك أن تكون على ما أردنا من إصابة هذه الحاجة التي نحن مرسلوك فيها، لما علمنا عنك من الاجتهاد في العلم والأدب، وحرصك على طلبهما.

ونحن مرسلوك إلى بلاد الهند لما بلغنا عن كِتابٍ عند ملوكها وعلمائها، قد ألفه العلماء، وهذّبه الحكماء، وأتقنه الفطناء، ليس في خزائن الملوك مثله يستعين به على

عظمائهم ملوك الهند، فتعزم على المسير بسببه فتستفيدُه برفق وتؤدة وتلطُّف. وتحمل معك من المال ما أردتَ، ومن طُرَف بلاد فارس وهداياها ما تعلمُ أنه يعينك على استخلاصه، مع ما تقدر عليه من الكتب التي يحتاج إليها الملوك، وليكن ذلك في سر مكتوم.

فإذا أكملت ما تريده وأنت في بلاد الهند، كتبتَ إلينا بذلك، وأسرعت الوفود إلى حضرتنا، فإنّا مُجزلو عطيّتك، ورافعو درجتك، ومبلغوك فوق ما أمَّلته من دولتنا، فبادر لما أمرت، واحفظ ما وُصِّيتَ به، وليكن من شانك التثبّت والتانّي في جميع أمورك، فخرَّ برزويه ساجداً وقال:

- سمعاً وطاعة، سيجدني الملك كما أحبَّ إن شاء الله. ثم نهض إلى منزله فتخير من الأيام أيمنها، ومن الساعات أبركها، وسار في اليوم المختار، فلم يزل تخفضه أرض وترفعه أخرى حتى قدم إلى بلاد الهند، فاراح من وعثاء الطريق.

ثم إنه طاف بباب الملك، وتخلّل مجالس السُّوقة، وسال عن قرابة الملوك والأشراف، وعن العلماء والفلاسفة، فجعل يغشاهم في منازلهم وعلى باب الملك، ويتلقّاهم بالتحية

والمساءلة، ويخبرهم أنه قدم بلادهم لطلب العلم والأدب، وأنـــه محتاج إلى معونتهم على ما طلب من ذلك، ويسالهم إرشاده إلى حاجته، مع شدّة كتمانه لما قدم له، وكنايته عنـه، فلـم يزل كذلك زمانا طويلا، يتادّب بما هو أعلم به، ويتعلـم من العلم ما هو ماهر فيه، ويكني عن بغيته وحاجته.

واتخذ، لطول لبثه وإقامته، أصدقاء كثيرين من أهـــل الهـــند، من الأشراف والسوقة وأهل كل صناعة، واختـص من جماعتهم رجلا كان شريفا عالما يسمَّى (أزويه)، وكـان صاحب سرّه ومشورته لما ظهر له من علمه وفضل أدبه، وصـحّ له من إخائه ومحض مودتـه، وفصاحة منطقــه، وكـــان يشاوره في جميع أموره، ويستريـــح إليه فيما يهمّه، إلاّ أنّه كان يكتمه الأمر الذي هـو بغيته، وكان يبلـوه باللـطـف لينظر هل يراه موضعا لاطلاعه علـى سرِّه فلم يزل يبحث عـن ذات نفسه حتى وثق به، وعلم أنـه لمـا استـودع من السـّر موضع، وفيما سال مشفِّع، وفيمـا استعان بـه عليه مجتهد، فازداد له إلطافا. فكان إلى ذلك اليوم الذي رجا أن يكون قد ظفر بحاجته، قد أعظمَ النفقة مع طول الغيبـة و إلطـاف الأصـدقـاء ومجالستهم على الطعام ومنادمتهم علـى الشراب لطلب الثقات منهم فلم يطمئنّ إلى أحـد منهـم إلاّ إلـى

صديقـه ذلك.

وكـان مما حكّ (اختبر) به برزويه صديقه ذلك ورازه [جرّب ما عنده ووزنه] وفتّش عقلـه ووثق بـه واطمان إليه، أن قـــال له يوما، وهما خاليان:

يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري شيئًا فوق ما قد كتمتك، فاعلم أني لأمر جئت، وهو غير ما ترى يظهر مني، والعاقل يكتفي من الرجل بالعلامات الظاهرة فيه، من نظره وإشارته بيده، فيعلم سر نفسه، ومـا يضمر عليه قلبه.

قـــال الهندي:

- إني وإن كنت لم أبدأك، ولم أخبرك بما له جئتَ، وإيـاه طلبت، وأنك تكتم أمرا تطلبه وأنت تظهر غيره فإنه لم يكـن يخفى عليّ، ولكن لرغبتي في إخائك، كرهت أن أواجهك بانه قـد ظهر لي ما تكتم، وأنه قد استبان لي ما أنت فيه ومـا تُخفيه، فاما إذ افتتحت الكلام فانا مُخبرك عن نفسك، ومُظهر لك سريرة (سـرّ) أمرك، ومُعلمك حالك الذي قدمت عليه، فإنـك قدمت بلادنا لتسلبنا علومنا الرفيعة وكنوزنا النفيسة، فتذهب بها إلى بلادك لتسُرَّ بها ملكك، وكان قدومك بالمكر، ومصادقتك بالخديعة، ولكن لما رأيت صبرك، وطول مواظبتك على طلـب حاجتك، وتحفظك من أن تسقط في الكلام - في طول لبثـك

obeikandi.com

(بقائك) عندنا- بشيء نستدل به على سريرة أمرك، ازددت رغبة فـي عقلك، وأحببت إخاءك، ولا أعلم أني رأيت أوزن منك عقـلا، ولا أحسن أدبا، ولا أصبر على طلب حاجة، ولا أكتم للسـر منـك، ولا أحسن خلقا، ولا سيما في بلاد غربة، ومملكة غير مملكتك، وعند قوم لم تكن تعرف سننتهم ولا أمرهم.

واعلم أنّ عقل الرجل يستبين في أمور ثمانية: الأولى منها الرفق والتلطف، والثانية أن يَعرف الرجل نفسه ويحفظها، والثالثة طاعة الملوك وتحرِّي ما يرضيهم، والرابعـة معرفـة الرجـل بموضع سرّه، وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقـه، والخامسة أن يكون على أبواب الملوك حُوَّلاً [بصيرا بتحويل الأمور] أريبا طلق اللســان، والسادسة أن يكون لسرّه ولسّر غيره حافظا، والسابعة أن يكـون قادرا على لسانه فلا يلفظ من الكلام إلاّ ما قد روّى فيـه وقـــدره، والثامنة إذا كان في المحفل لم يُجب إلاّ بما يسال عنـه، ولم يظهر من الأمر إلاّ ما يجب عليه.

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الثمانية كـان هـو الداعـي إلى نفسه الخيـر والربـح، والمجنِّبَ لنفسه الشرّ والخسران، وقـد كملت هذه الخصال باسرها وهي بينـة ظـاهرة فـيك، ومـن اجتمعت فيه هذه الخصال شُفِّع في طلبته، وأُسعف

بحاجته، وإنّ حاجتك التي تطلب قد أرعبتني وأدخلت عليّ الوحشة والخشية ونسال الله السلامة.

فلما سمع برزويه بذلك تيقنّ أنه قد ظفر بحاجته، وأقبل عليه، و قال:

- يا أخي لم تخطئ فراستي فيك في أول مقدمي عليك، واستماعي جوابك، وإنما رميتك بجملة كلامي، وإيجاز منطقي، لما علمت من حسن منقبتك، وبُعد مذهبك، وغوصك على معدن الفطنة والحكمة، فلذلك وثقتُ منك بحسن القول مني، وقبول كلامي، وإسعافي بحاجتي. وإنّ إفضاء السرِّ إلى العلماء والعقلاء وأهل العلم، والثقة بهم أفضل عدّة، وكذلك شبَّهت العلماء مودع الأسرار عند أهلها بالجبل الشامخ الذي لا تزيله الريح، ولا تُحرّكه بكثرة إذرائها، وأنت - بحمد الله - يدك عندي جميلة، عليها أعتمد.

قـــال الهندي:

- حفظ الأسرار وكتمانها شبّهته بالعلماء بغلاف القارورة المغطّي عليها، تراها واحدة فإذا نزع الغطـاء فجرمان اثنان، فـــإذا فرِّغت مما فيها فهي ثلاثة مشهورة قد علمَ بهـــا، ورأس الأدب حفظ السرّ إذا تكلّم بــه لسانان صار إلى ثلاثة، وإذا صار إلـــى ثلاثة شاع في الناس. ومثله في ذلك مثل الغيــوم فــي السمـاء، إذا كانت متقطِّعة فادّعى ناس أنها مستوية ليس فيهـا خلَل ولا فُرجة، كذّبهم قوم آخـرون. وعلـى الناظر تمييـزُ صدق ذلك من كذبه. ولك عندي يا أخي ـ مع قرب العهد بيننا ـ من الأيدي الكرام والألطاف، ما أتـذمّم لذلك منك، وإنـك تسالني حاجة أتخــوف أن تذيـع أو يفطن بها حاسد فيكون ذلـك فيه هلاكي واستئصالي، ثم لا أقدر علـى الافتداء بعوض ولا مال ولا جاه ولا عون، لأنّ هذا الملك سُخطـه أدنى شـيء، ولا يُرضـيه كـثرة التـملـق ولا الـتضـرّع، فـذلك دعاني إلـــى الانقباض منك والتاكيد عليك.

قــال برزويه:

- من أفضل الأشياء في الرجال كتمان السّر، وحفظ ما استُودع منه، فإنما نجاح حاجتي بإذن الله في يدك، وكتمان ذلك في يدي.

قــال برزويه:

- إنّ العلماء قد مدحت الصديقَ إذا كتم سِّر صديقـه، وهـذا الأمر الذي قدمتُ له، إياك اعتمدت بـه، وإليك أفشيتـه، ولن يتجاوز مني ومنك إلــى أحد تكرهه وتخاف إذاعته وإفشــاءه، وأنت تعلم أنك من قبلي آمن، ولكنك تتّقـي أهل بـلادك المُطيفين بالملك أن يشيعوا ذلك، وأرجو ألاّ يشيع، لأنــي ظاعِن (مرتحل) وأنت مقيم، وما أقمتُ فليس بيننا ثالث. فشفَّعه الهنديّ فيما طلب، وأعطاه حاجته من الكتب، ودفع إليه كتاب كليلة ودمنة.

فلما وقع برزويه في تفسير الكتب ونسخها، أقام على ذلك زمانا عظُمت فيه مئونته ونفقته، وأنصب فيه بدنه، وسهر فيه ليله، ودأب فيه نهاره من الخوف على نفسه.

فلما فرغ منه ومن سائر الكتب وأحكمها، كتب إلى كسـرى أنو شِروان يُعلمه بما لقيَ من التعب والعناء، وأنه قد فـرغ

منــه ومن سائر الكتب، فاجابه كسرى في سرّ مكتوم يامــره بالأوبــة إليه، ساعة يَرِد عليه الكتاب، فتجهّــز برزويــه، وخــرج من بلاد الهند حتى ورد فارس، ودخل على كسرى، وخــرّ له ساجداً، فلما رفع رأسه واستوى قائما، رآه كســرى قد شحب لونه وتغيَّرت سحنته، وشاب رأسه، فرقّ له وقـــال:

- أبشر أيها العبدُ المطيعُ مولاه، الناصح لملكه، ببشرى صالحة، فقد استوجبت الشكر منا، ومن جميع الخاصة والعامة، فإنا لا نَدَع رَفدكَ والنظر لكَ، ونحن صانعون لكَ أفضل ما رجوت وأملت، ثم أمره أن ينصرف ويريح بدنه سبعة أيام ثم ياتيه، ففعل.

فلما كان في اليوم الثامن دعا به، وأمر أن يحضر العلماء والأشراف من أهل مملكته، وأمر (بُزُرجِمِهر) أن يقرأ الكتاب على رؤوس الأشهاد، فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم والأدب والأعاجيب التي حكوها على ألسن الحيوان والطير تعجّبوا منه وشكروا الله على ما أنعم عليهم به من الأدب والمعرفة، على يد برزويه وأحسنوا الثناء عليه.

ثم إن الملكَ أمر بان تفتح خزائن الذهب والفضة لبرزويه، وأمره أن ياخذ منها ما أحبّ، فسجد برزويه للملكِ، ورفع رأسه وقـــال:

obeikandi.com

- عشت أيها الملك حميدا مُخلَّدا، إنا بحمد الله قد أفادنا الله، في دولة الملك وبهاء ملكه وعزّ سلطانه، ما لم نامله، وكل ما أنعم الله علينا به، من الله ومن الملك، ولا حاجة لي إلى شيء من ذلك، لكني أريد أن أسال الملكَ حاجةً يسيرةِ يكون لي في قضائها ذكر وفخر.

قال الملك:

- وما تلك الحاجة؟.

قال برزويه:

- إن رأى الملك أن يامر بُزُرجِمِهر بن البختكان أن يضع لي في رأس هذا الكتاب باباً باسمي، وينسِبَ إليه شاني وفعلي ليكون لمن بعدي عبرةً وتاديباً، ويحيا به ذكري ما حييتُ في الدنيا، وبعد وفاتي، فإنه إن فعل ذلك فقد شرفني وأهل بيتي آخر الأبد.

فقال الملك:

- ما أهون ما سالت في جنب ما استوجبت، وتقدّم إلى بُزُرجِمِهر بان يضع له بابا وينسبه إليه، على موافقة الحق،

obeikandl.com

ليكون تحريضا لمن قرأه على طاعة الملوك، ولا يقصر في إتقانه وتحبيره بغاية وُسعه وطاقته، فقبل بُزُرجِمِهر وصيّة كسرى في ذلك، لعلمه بحسن رأيه في برزويه وإكرامه إياه، وأطنب في ذلك الباب، واجتهد في إتقانه وترصيفه، ونسبه إليه، وذكـر تنقله من حال إلى حال، وبحثه عن الأديان، والتماسه طلب الحكمة، ثـم استاذن على الملك فقرأه بين يديه، فتعجب كسرى ومن بحضرته منه.

فمن قرأ هذا الكتاب فليعرف السبب الذي وُضع عليه كتاب كليلة ودمنة، وحُوِّل من أرض الهند إلى أرض فارس، وليعرف فضل الملوك وطاعتهم، ويؤثرها على سائر الأعمال، وليعلم أنّ الشريف من شرّفته الملوك، ورفعته في دولتها.

openkandil.com

باب
برزويه الطبيب
من كلام بزرجمهر
ابن البختكان

Obeikandl.com

obeikandl.com

باب

برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان

قـــال بُزُرجِمِهر:

- إنّ برزويه رأس أطباء فارس، وهو الذي وليَ انتساخَ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند.

قـــال:

- إنّ أبي كان من المقاتِلة، وكانت أمّي من بنات عظماء الزمازمة (قوم من أتباع (الأبستا) وهو كتاب المجوس الذي قيل إن واضعه هو زرادشت) وفقهائهم في دينهم. وكان مما ابتدأني به ربي من نعمه أني كنت من أكرم ولد أبويّ عليهما، وأنهما أسلماني

obeikandi.com

فـي تعليم الطب لمّا صار لي من عمري سبعُ سنين. فلما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله، شكرت رأيهما في ذلك، ورغبت فـي تعلّمه، حتى إذا شدوت منه علما، وبلغت فيه ما أمنت لـه نفسي على مداواة المرضى وهممت بذلك، آمرت نفسي وذكَّرتها وخيّرتها بين الأمور الأربعة التي إياها يطلب الناسُ. ولها يسعون، وإليها يجدّون. فقلت:

- أيُّ هذه الخلال ينبغي لمثلي أن يلتمس؟ وأيهـا الأحـرى إن هو بغاه، أن يُدرك منه حاجته؟ آلمالُ أم اللذّات أم الصـوتُ (الصيت) أم أجر الآخرة؟ واستدللتُ على المختار من ذلك، فوجدت الطبّ محموداً عند العقلاء، ولم أجده مذموماً عند أحد من أهل الأديان والملل. وأصبت في كتبهم أن أفضل الأطباء من واظب على طِّبه لا يريد بذلك إلاّ الآخرة. فرأيت أن أواظب عليه أبتغي ذلك، ولا ألتمس له ثمنا، ولا أكون كالتاجر الخاسر الذي باع ياقوتة، كان مصيباً من ثمنها غنى الدهر، بخَرزة لا تساوي شيئاً. ووجدت في كتبهم أيضا أنّ الطبيب المبتغي بطبّه أجر الآخرة، لا ينقصه ذلك من حظّه في الدنيا. فإنما مثله في ذلك مثَلُ الحرّاث الذي يثـيـر أرضـه ويعمـرها ابتغـاء الزرع لا العشـب،

openkanz.com

ثـم هـي لا محالة نابتُ فيها ألوان منه، فاقبلتُ على مداواة المرضى رجاء ذلك. فلم أدع مريضاً أرجو له البُرء وأطمعُ له فـي خفّة الوجع، إلاّ بلغتُ في معالجته جُهدي. ومن قدرتُ علـى القيام عليه قمتُ عليه وفعلتُ به ذلك وإلاّ وصفت لـه. ولـم أرد لشـيء مـن ذلك جـزاءً ولا مكافاة ممن فعلتهُ به. ولم أغبط من نظرائي ومن هو مثلي في العلم وفوقي في الـمال، أحـداً إلاَّ بعين صلاح أو حسن سيرة في الناس قولا وعملاً، وكنـت أُقـرِّع نفسي إذا هي نازعتني إلى أن تغبط أولئك وتتمنى منازلهم، وآبى لها الخصومة، وأقول:

- يا نفسِ أما تعرفين نفعك من ضُرِّك؟ ألا تنتهين عن الرغبة فيما لم ينله أحد إلاّ قلّ انتفاعه به، وكثُر عناؤه فيه، واشتدت مئونته عليه عند فراقه، وعظمت التبعة عليه بعده ؟ يا نفسِ أما تذكرين ما أمامك فتنسَيْ ما تَشْرهين إليه فيما بين يديك؟ ألا تستحين من مشاركة الفجرة الجهّال في حبّ هذه الفانية البـائدة الـتي من كان في يـده منهـا شيء فليس لـه، ولا بباق عليه، والتي لا يالفها إلاّ المغترّون الغافلون ؟ يا نفسِ أقصِري عن هذا السَّفه، وما أنت عليه من خطَل الرأي فيه، وأقْبِلي بقوّتك وسعيك وما تملكين، على تقديم الخيـر والأجـر ما استطعت، وإياك والتسويف والتواني. واعلمي أنّ هذا الجسد

ذو آفات، وأنه مملوء أخلاطاً فاسدة قذرة تجمعها أربعة أشياء متعاديةٍ متغالبةٍ تعمدُهنّ الحياة وهي إلى نفاد، كالصنم المفصّل أعضاؤه إذا رُكِّبت جمعها مسمار واحد، وأمسك بعضها على بعض. فإذا أُخِذ المسمار تساقطت الأوصال. يا نفسِ لا تغتّري بصحبة أحبّائك وأخِلاّئك، ولا تحرصي على ذلك، فإنها على ما فيها من السرور والبهجة، كثيرةُ الأذى والمئونات والأحزان، ثم تختم ذلك بقطع الفراق. كالمِغرفة تستعمل في صحّتها وجدّتها في حرارة المرق وسخونته، فإذا هي انكسرت صار عاقبة أمرها إلى النار، يا نفسِ لا يحمِلنّك ما تريدين من صلة أهلك وأقاربك والتماس رضاهم على جمع ما تهلكين فيه، فإذا أنت كالدُّخنة الطّيبة التي تحترق ويذهبُ بعرْفها آخرون، و كالذُّبالة تضيء لغيرها باحتراقها، يا نفسِ لا تغتَّري بالغنى والمنزلة التي تُبطر أهلها، فإنها إلى انقلاب. وإنّ صاحب ذلك لا يبصر صغر ما يستعظم حتى يفارقه، فيكون كشعر الرأس الذي يُكرمه صاحبه، ويَخدمه، ما دام على رأسه، فإذا فارق رأسه قذَره وقزَّ منه، يا نفسِ دومي على مداواة المرضى، ولا يعوّقك عن ذلك أن تقولي إنّ الطب مئونة شديدة، والناسُ بمنافعها ومنافع الطب جُهال، ولكن اعتبري بمن يفرِج عن رجل كربةً تحُلُّ به، ويستنقذه منها حتى يعود بعدها إلى ما كان يكون فيه من

السّعة والرَّوح، فإنه أهل لعظيم الأجر وحُسن الجزاء. فكيف بالمتطّبب الذي يفعل ذلك بالعِدّة التي الله أعلمُ بها، فيعودون ـ بعد الأسقام المُمِضّة والأوجاع الحائلة بينهم وبين لذّات الدنيا من طعامها وشرابها وأزواجها وأولادها ـ إلى أحسنِ ما كانوا يكونون عليه من حالاتهم. فإنّ هذا خليق بجزيل الثواب وعظيم الرجاء، يا نفسِ لا يبعُدنّ عليك أمرُ الآخرة الدائمة فتميلي إلى الدنيا الزائلة، فتكوني في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر الذي زعموا أنه كان له ملء بيت صندلاً، فقال: إن أنا بعته موزوناً طال عليّ. فباعه مجازفة باخسّ الثمن.

فلما خاصمت نفسي بهذا وأخذتها به وبصّرتها إياه، لم تجد له نقضًا، ولا عنهُ مذهبًا ولا منصرفًا، فاعترفتْ وأقرَّت، ولهَت عما كانت تنزِع إليه وترغب فيه. وأقمتُ على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة، فلم يمنعني ذلك من أن أصبتُ الدنيا حظًّا جسيمًا، ونصيبًا عظيمًا، من الملوك والأولياء والإخوان، قبل أن آتيَ الهند، وبعد رجوعي منها، وفوق الذي كان طمعي يجنح إليه، وفوق ما كنت له أهلاً.

ثم نظرت في الطب فوجدت الطبيب لا يستطيع أن يداوي المريض بدواءٍ يُذهب عنه داءه ، فلا يعود إليه أبداً ذلك الداء

ولا غيرُه من الأدواء التي هي مثله أو أشدّ منه، فلم أدرِ كيف أعدّ البُرءَ بُرْءاً ـ والداءُ لا تُؤمن عودته أو اعتراءُ ما هو أشدّ منه ـ ووجدت عمل الآخرة هو الذي يُسَلّم من الأذى حتى يبرأ صاحبها بُرءاً يامن معه من الأدواء كلِّها، فاستخففتُ بالطب وأردتُ الدين، فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه عليّ أمر الدين، أما كتُبُ الطب فلم أجد فيها لشيء من الأديان ذكراً يدلّني على أهداها وأصوبها.

وأما المِلل فكثيرة مختلفة ليس منها شيء إلاّ وهو على ثلاثة أصناف: قوم ورثوا دينهم عن أبائهم، وآخرون أُكرهوا عليه حتى ولَجوا فيه، وآخرون يبتغون به الدنيا، وكلُّهم يزعُم أنه على صواب وهدىً، وأنّ من خالفه على خطا وضلالة. والاختلاف بينهم كثير في أمر الخالق والخلْق، ومبتدأ الأمر ومنتهاه، وما سوى ذلك. وكل على كلٍّ زارٍ (حاقد لائم)، وله عدوّ، وعليه عائب. فرأيت أن أُراجعَ علماء أهل ملّة وأناظرهم فانظر فيما يصفون، لعلِّي أعرف بذلك الحقَّ من الباطل فاختاره وألزمَه على ثقة ويقين، غيرَ مصدِّق بما لا أعرف، ولا تابعٍ ما لا يبلغه عقلي، ففعلت ذلك وسالت ونظرتُ فلم أجد أحداً من الأوائل يزيد على مدح دينه، وذمّ ما يخالفه من الأديان. فاستبان لي أنهم بالهوى يجيبون ويتكلمون، لا بالعدل. ولم

أجد عند أحدٍ منهم صفةً تكون عدلاً يعرفها ذو العقل ويرضى بها.

فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا، وعرفت أني، إن أوافقه على ما لا أعلم، أكن كالمصدِق المخدوع الذي زعموا أن جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء ليسرقوا متاعه، فعلوْا ظهر بيته ليلاً، فانتبه صاحب البيت لوَطْئهم، وأحسّ بهم، فعرف أنه لم يعلُ ظهر بيته في تلك الساعة إلاّ مُريب، فايقظ امرأته وقـــال لها:

- رويداً ؟ إني لأحسب اللصوص قد علوْا ظهر بيتنا. وأنا مُتناومُ لك، فايقظيني بصوتٍ رفيع يسمعه من فوق البيت من اللصوص، ثم قولي لي:

- ألا تُخبرُني عن أموالك الكثيرة هذه وكنوزك، من أين جمعتها؟ فإذا أبيتُ عليكِ فالحّي في السؤال. ففعلت المرأة ذلك. وسمع اللصوص كلامها، فقـــال الرجل:

- أيتها المرأة، قد ساقك القدَر إلى رزق واسع، فكلُي واشربي واسكتي، ولا تسالي عما لو أخبرتك به لم آمن أن يسمعه سامع فيكون في ذلك مــا أكره وتكرهين، فقـــالت المرأة:

- لَعَمْري ما بقربنا أحد يفهم كلامنا.

قـــال الرجل:

- فإني مخبرُكَ أني لم أجمع هذه الأموال والكنوز إلاّ من السرقة.

قـــالت:

- وكيف كان ذلكَ وأنت في أعين الناس عدْلُ مَرْضيّ لم يتّهمكَ، ولم يسترِب بكَ أحد؟.

قـــال:

- ذلكَ لعلم أصبتُه في السرقة كان ألطف وأرفق من أن يتّهمني أحـد، أو يرتاب فيَّ.

قـــالت:

- وكيف كان ذلكَ ؟.

قـــال:

- كنت أذهب في الليلة المُقمرة ومعي أصحابي حتى أعلُوَ ظهر البيت الذي أريد أن أسرقه، فانتهيَ إلى الكوّة التي يدخل منها الضوء إلى البيت فارقيَ بهذه الرُّقية وهي: [شَولمَ، شَولَم] سبع مرّات، ثم أعتنق الضوء فاهبِط فيه إلى البيت، ولا يحسّ بوقوعي أحد، ثم أقوم في أسفل الضوء فاعيدُ الرُّقية سبع مرات فلا يبقى في البيت مال ولا متاع إلاّ ظهر لـي، وأمكنني أن

أتناوله، وقويتُ على حمله، ثم أعيدها وأعتنقُ الضوء وأصعدُ إلـى أصحابي فاحملُهم ما معي، ثم ننسلّ ولا يشعر بنا أحد.

فلما سمع اللصوص ذلك فرحوا وقــالوا:

- لقد ظفرنا من هذا البيت بامرٍ هو خير لنا من المال، وأمِناّ به مــن السلطان، وأطالوا المكث حتى ظنّوا أن الرجل قد نام، ودنا رئيسهم إلـى مدخل الضوء من الكُوّة فقــال:

- (شَولَم، شَولَم) سبع مرات، ثم اعتنق الضوء لينزل إلى البيت فوقع مُنَكَّسًا، فوثب إليه صاحبُ البيت بهراوة فاوجعه ضربًا وقــال له: من أنت؟.

قــال:

- أنا المصدِّق المخدوع، وهذه ثمرة تصديقي.

فلما تحرّزت من التصديق بما لم آمن أن يوقعني فـي مهلكة، عدت إلى البحث عن الأديان والتماس العدل منها، فلـم أجد عند أحد ممن كلمته، في جواب ما سالته عنه، ولا فيما ابتدأني به، شيئاً يحقّ عليّ في عقلي أن أوقن به وأتّبعه، فقلت:

- أما إذا لم أُصب ثقةً آخُذُ منه فإنّ الرأي أن ألزم دين آبائـي، وهممتُ بذلك فلم أر لي فيه مخرجاً، ولا وجـدت الثبوت علـى دين الآباء سبيـلاً، ولا لي فيه حُجّةً ولا عذراً. فاردت التفرّغ

Obeikandi.com

للعود إلى البحث عن الأديان والمسالة عنها، فعرض لي تخوُّفُ قُرب الأجل وسرعته، وانقطاع الدنيا وفناؤها، وفكّرت في ذلك وقلت:

- أما أنا فلعل موتي يكون أوشك من تقليب كفّيّ ورجْع جفنيّ على عينيّ. وقد كنت أعمل أموراً أرجو أن تكون من صالح الأعمال، لعل تردّدي وتنقّلي وبحثي عن الأديان يشغلني عن خير كنت أفعله، فيكون أجلي دون ما يطمح إليه أمَلي، أو يصيبني في تردّدي وتحوّلي ما أصاب الرجل الذي زعموا أنه عَلِق امرأةً ذات بعل وعلِقَته، فحفرت له من بيتها سَرَباً إلى الطريق وجعلت مخرجه عند حُبّ [جرّة] الماء، تخوُّفًا أن يفاجئها زوجها أو أحد وهو عندها، فبينما هي ذاتَ يوم و هو عندها، إذ بلغها أنّ زوجها بالباب، فقالت للرجل: اعجَل واخرُج من السّرَب الذي عند الحُبّ، فانطلق الرجل إلى ذلك المكان، فوافق الحُبّ قد رُفع من ذلك المكان، فرجع إلى المرأة.

قال:

- قد انتهيت إلى حيث أمرتِ فلم أجد الحُبّ، فقالت المرأة:

- أيها المائق وما تصنع بالحُبّ؟، وهل سمّيتُه لك إلاّ لتستدلّ به على السَّرَب ؟

قال:

- لم تكوني حقيقة أن تذكريه لي فتغلّطيني به، فقالت المرأة:

- ويْحكَ! انجُ بنفسكَ، ودع التردّد والحمق، فقـال:
- كيف أذهب وقد خلَّطت عليّ ؟ فلم تزل تلك حالته حتى دخل زوجها فاوجعه ضربا ثم رفعه إلى السلطان.

فلما خفت التردّد والتحول رأيت ألاّ أتعرّض لهما، وأن أقتصر على كل شيء تشهد العقول أنّه برّ، ويتّفق عليه كل أهل الأديان، فكففتُ يدي عـن الضرب والقتل والسّرقة والخيانة ونفسي عن الغضب، ولساني عن الكذب وعن كل كلام فيه ضرر لأحد. وكففتُ عن أذى الناس والغيبة والبهتـان، وحصّنـت فرجـي عن النسـاء، والتمست من قلبي ألاّ أتمنّى مـا لغيـري، ولا أحبّ له سوءًا، ولا أكذّب بالبعث والحساب والقيامة والثواب والعقاب، وزايلتُ الأشرار بقلبي، وأحببت الصُّلَحاء جهدي، ورأيت الصلاح ليس مثله قرين ولا صاحب، ومكتسبه ـ إذا وفّق الله له ـ يسيرُ، وأصبتُه خيراً على أهله، وأبَّر من الآباء والأمّهات، ووجدته يدلّ على الخير، ويشير بالنُّصح، فِعلَ الصديق بالصديق. ووجدته لا ينقص إذا أُنفق منه، بل يزداد على الإنفاق ويكثُـر، ولا يَخلُق على الابتـذال والاسـتعمـال، بـل يجِدّ ويحـسـنُ، ولا خـوف علـيه مـن السلطـان أن يسلُبَـه، ولا مــن الآفـات أن تفسده، ولا من النار أن تُحرقه، ولا من اللـصوص سَـرَقًـا، ولا من السباع افتراسًا، ولا من ذي حُمة لدغًا، ولا من الغارة،

ولا من الجوائح، ووجدتُ الرجل الذي يزهد في الصلاح وعاقبته، ويلهيه من ذلك قليلُ ما هو فيه من الحلاوة العاجلة النفاد، إنما مثله، فيما ذهبت فيه أيامُه، مثلُ التاجر الذي زعموا أنه كان له جوهر كثير، فاستاجر لثقبه وعملِه رجلاً بمائة دينار يومه إلى الليل فانطلق به إلى بيته. فلما جلسا إذا بصَنْج موضوع، فنظر إليه، فقال له التاجر: أتحسنُ أن تضرب به؟.

قال:

- نعم،

قال:

-فدونك، فتناوله، وكان به ماهراً، فلم يزل يُسمِعه صوتاً حسنًا مصيبًا، وترك سَفَط جوهرِه مفتوحًا وأقبل عليه.

فلما أمسى قال:

- مُرْ لي باجرتي.

قال:

- وهل عملت شيئاً ؟.

قال:

- نعم، عملتُ ما أمرتني به. فوفّاه أجرته، وبقي ما استاجره عليه غيرَ معمول.

فلم أزدد في أمور الدنيا نظراً إلاّ أحدَث لي ذلك فيها زهداً، ورأيت أن أعتصِم بالتألّه والنُّسك، ووجدتهما اللذين يمهّدان

للعباد، كما يفعل بالمرءِ أبوه. وشبّهتهما الجُنّة الحريزة في دفع الشر الباقي الدائم، ورايتهما الباب المفتوح إلى الجنة، ووجدت الناسك قد فكّر فعلته السكينة، وشكر فتواضع، وقنِع فاستغنى، ورضي فلم يهتّم، وخلع الدنيا فنجا من الشرور، ورفض الشهوات فصار طاهراً، وانفردَ فكُفِيَ الأحزان، وطرح الحسد فظهرت منه المحبة، وسخَت نفسُه عن كل شيءٍ فانٍ فاستكمل العقل، وأبصر العاقبة فامن من الندامة، ولم يخفِ الناس فامن منهم، ولم يذنب إليهم فسلم. فلم أزدد في أمر النُّسك تفكّراً إلاّ أحدث لي عليه حرصاً، فهمَمت أن أكون من أهله، ثم تخوَّفت ألاّ أصبِر على عيشهم وأن تردَّني العادة التي جريتُ عليها وغذيتُ بها، ولم آمن، إن أنا خلعت الدنيا وأخذت في النُّسك، أن أضعف عنه، و أكون قد رفضتُ أموراً كنت أعملها قبله، وأرجو عائدتها، فاكون كالكلب الذي مرَّ بنهر وفي فيه ضِلع، فرأى ظلّه في الماء فاهوى إليه لياخذه وترك ما كان معه فذهب، ولم ينل الذي طمع فيه، فهِبتُ النُّسك هيبة شديدة، فاحجمت عن الإقدام عليه، وخفتُ على نفسي من الضجر فيه وقلة الصبر عليه، ودعاني الهوى إلى الرضا بما

كنت عليه من حالي في الدنيا، والثبوتِ عليها، ثم بدا لي أن أقيسَ بين ما أُشفقُ ألاّ أقْوى عليه، من الأذى والضيق في النُّسك، وبين الذي يُصيب صاحب الدنيا من البلاء فيها، فكان يتحقّق عندي أنه ليس من شهواتها ولذّاتها شيء إلاّ وهو متحوِّل مكروهاً وحزناً، وأنه كالماء المِلح الذي لايزداد الظمآن منه شُربا إلاّ ازداد به عطشاً، وكالعظم المتعرِّق الذي يصيبه الكلب فيجدُ فيه ريحَ لحم فلا يزال يلوكه، وكلما ازداد له نهشاً زاد كدوحاً حتى يدمي فاه، وهو لا يكثر التماسه إلاّ جرحه وأدماه، وكالحِدأة التي تظفر بالبَضعة من اللحم، فتجتمع عليها الطير ، فلا تزال في تعب حتى تلفِظها وقد أعيَتْ وتعبَتْ. وكالكوزة من العسل، في أسفلها سمّ، والذائق لها مصيب منها حلاوة عاجلة، وفي أسفلها موت زعاف، وكاحلام النائم التي تفرحه، فإذا استيقظ انقطع ذلك عنه، وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكاً، ويبقى راجيه في الظلام، وكدودة الأبريسَم التي لا تزداد على نفسها لفّا إلاّ ازدادت تشبُّكاً، ومن الخروج بُعداً.

فلما فكَّرت في ذلك راجعت نفسي في اختيار النُّسك وخاصمتها فقلت:

- ما يجوز هذا أن أفرّ من الدنيا إلى النُّسك، إذا فكَّرت في

شرورها وأحزانها، ثم أهرب منه إليها إذا تذكَّرت ما فيه من الضيق والمشقة، فـلا أزال في تصرّف وفي تقلّب لا أُبرِم رأيـاً، ولا أعزِم عليه. فصرت كحديرونَ قاضي مَرْو الذي سمع من أول الخصمين فقضى على الآخر، ثم سمع من الآخر فقضى له على الأول، فنظرت إلى الذي يلحقني من أذى النُّسك وضيقه فقلت:

- ما أصغر هذا في جنب روح الأبد وراحته؟ وفكَّرت فيما تشرَه إليه النفس من اللهو واللذة فقلت:

- ما أوخمه مـع ما يُتخـوَّف من العـذاب والهـوان ؟ فكيـف لا يستحلي الإنسان مرارةً فانية قليلة تُورِثُه حلاوة كثيرة باقية.

ولو أن الرجـل عُـرِض عليه أن يعيش ألف سنة، لا ياتي عليـه يـومُ إلاّ بُضِع [جرح وقطّع] لحمه، غيرَ أنه شُرط له أنه إذا استوفاها نجا من الألم والمشقة، وصار إلى الأمن و السرور ـ كـان حقيقـاً ألاّ يراها شيئاً. فكيف لا يصبر على أيام يسيرة، وأذى حقير يصيبه من الدنيا؟ أوَ ليس إنما الدنيا كلُّها عذاب وبلاء ؟ فـإنّ الإنسان يتقلّب في ذلك من حين يكون جنيناً إلى أن يستوفيَ أيامه. فإناّ نجد في كتب الطب أنّ الماء الذي يقدَّر منه الولد السوِيّ، إذا وقع في رحم المرأة، اختلط بمائها ودمها، فخثر

وغلُظ، فمخضتْه الريح حتى يصير كماء الجبن، ثم يصـيرُ كاللبـن الرائب، ثم تنقسم أعضاؤه لإبّان أجله، فإن كان ذكراً فوجهه قِبَـل ظهر أمّه. وإن كانت أنثى فوجهها قِبَل بطنها، ويداه علـى وجهه، وذقنُه على ركبتيه، مقبَّض في المشيمة كانه مصرور فـي صّرة، وهو يتنفَّس من متَنَفَّس شاق عليه، وليس منه عضـو إلاّ كانه في وثاق، فوقه حرّ البطن وثقلَه، وتحته مـا تحته، منوطُ قِمع سُرّته إلى مريءٍ بامعائها، يمصُّ به مـن طعامها وشرابها. وبذلك يعيش ويحيا. فهو بهذه المنزلة وعـلى هذا الحال إلى يوم ولادته، فإذا كان إبّان ذلك سُلّطت الريح عـلى الرحم، وقويَ على التحريك، فيتصّوب رأسه قِبل المخرج، فيجد من ضيقه مثلَ ما يجد صاحب الوَهَقِ (حبل في طرفه أنشوطة) من عصره. فـإذا وقع على الأرض فاصابته ريح أو مسّته يد، وجد لذلك من الألـم ما يجد الإنسان الذي قـد سُلخ جلده. ثم هو في ألوان العذاب إذا جاع وليس به استطعام، أوعطش وليس بـه استسقاء، أواشتكى وليس به استغاثة، مع ما يلقى من الوضع والرفع واللف والحلّ والدّهن والمسح. وإذا أُنيم على ظهـره أوبطنه لـم يستطع تقَلّباً ولا تحوُّلاً، مع أصناف من العـذاب

مــا دام رضيعاً، فإذا هــو أفلت من ذلك أُخذ بالأدب، وأُذيق منــه فنونا وألوانا، ثم الدواء والحمية، والأوجاع والأسقام، وغيـر ذلك. فإذا هو أدرك فهمّه المال والأهل والولد، وتعبُ الشره والحـرص والمخاطرة والسعي، ومجاهدة العدوّ. وفي كل مـا وصفتُ يتقلّـب معه أعداؤه الأربعة، من المِرّة والبلغم والدم والريـح، والسمُّ المميتُ والهوامّ والسباع والناس، والحرُّ والبرد والأمطار والرياح، وألوانُ مكاره الهرم لمن بلغه. فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً، ووُثق لــه بالسلامة منها، وكان حقيقاً ألّا يفكّـر إلّا في الساعة التي يحضُره فيها الموت، ويفكّر فيما هو نازل بــه عندها ـ من فراق الأهل والأحبة والأقارب، وكل مضنــون بــه ومرغوب فيه، والإشرافِ على الهول العظيم الفظـيع المهـول بعد الموت ـ لكان حقيقاً أن يُعدّ عاجزا مُفرّطا واهنا، إن لـم يُعــدّ لذلك، ويتاهّب لفجاته قبل حلوله ونزوله بعَقْــوتـه [بساحته] ويرفــض ما يشغله ويُلهيه من شهوات الدنيا وشرورهــا، لاسيّما فــي هــذا الزمـــان الهرِم البالي الشبيه بالصُّبابــة والكدر، فإنه وإن كان الله تعــالى قــد جعل الملك سعيدَ الأمـــر، ميمــونَ النقـيــبـة، حازم الرأي، بعيدَ المقــدرة، رفــيعَ الهــمّــة، بليــغ الفــحــص، عــدلاً برّاً جــواداً صــادقــاً

شكوراً رحب الذراع، متفقّداً للحقوق، مواظباً فهماً حليماً رءوفاً رحيماً ، عاملاً بالناس، محبّا للخير وأهله، شديداً على الظَّلمة، مُوسِّعاً على رعيّته، فإنّا نرى الزمان مُدبراً بكل مكان، حتى كانّ الفضل قد وُدِّع، وأصبح مفقوداً ما كان عزيزا فقده، موجوداً ما هو ضارّ لمن ظفر به، وكانّ الخير أصبح ذابلاً والشر نضيراً، وكانّ الغيّ أقبل ضاحكاً، وأدبر الرشدُ باكياً، وكانّ العدل أصبح غابرا والجور غالبا. وكان العلم أصبح مستوراً، وأصبح الجهل منشورا، وكانّ اللُؤم أصبح آمرا، وأصبح الكرم موطوءا. وكانّ الوُد أصبح مقطوعا، وأصبح الحقد موصولاً وكانّ الكرامة قد سُلبت من الصالحين وتُوُخيِّ بها الأشرار. وكان الغدر أصبح مستيقظا، وأصبح الوفاء نائما. وكانّ الكذب أصبح غضًّا، والصدق قاحلاً. وكان الحق وَلَّى عاثرا وأصبح العدوان قد جرى سبيله، والانصاف بائساً والباطلُ مستعليا، والهوى بالحكّام مُوَكّلاً، والمظلوم بالخسف مُقرّا، والظالم لنفسه فيه مستطيلاً، والحرص فاغراً فاه يتلقّف من كل جهة ما قرُب منه و ما بعد عنه، والرضا مجهوداً مفقوداً، والأشرار يُسامُون السماء، والأبرار يريدون بطن الأرض، وأصبحت المروءة مقذوفاً بها من أعلى شَرَف إلى أسفل مهواة، والدناءةُ مكرّمةً، والرفعة مجفُوَّةً، والسلطان منتقلاً من أهل

الفضل إلى أهل النقص، والدنيا جذِلة مسرورة تقول:

- قد غُيِّبَت الحسنات، وأظهرت السيئات.

فلما فكَّرت في أمر الدنيا وعلمت أنّ هذا الإنسان هو أشرف الخلق وأفضلُه فيها، ثم هو على منزلتِه، لا يتقلّب إلاّ في شرٍّ ولا يوصف إلاّ به، علمت أنه ليس من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاط لنفسه ولا يعمل لنجاتها ويلتمس الخلاص لها إلاّ وهو ضعيف الرأي قليل المعرفة بما عليه وله. ونظرت فإذا هو لا يمنعه من ذلك إلاّ لذّة حقيرة يسيرة من المشرب والمطعم والشّم والنظر والسمع واللمس، لعلّه يصيب منه طفيفا لايوصف، سريع انقطاعه وامتحاقه وزواله، فالتمست له مثلا فإذا مثله مثل رجل ألجاه الخوف إلى بئر تدلّى فيها وتعلّق بغصنين نابتين على شُفرها فوقع رجلاه على شيء عَمَدهما فنظر فإذا هو باربع أفاعٍ قد أطلعن رؤوسهن من جحورهن. ونظر إلى أسفلها فإذا هو بتنّين فاغرٍ فاه نحوَه. ورفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصولهما جرذان أبيض وأسود يقرضانهما دائبين لا يفتُران. فبينما هو على ذلك يهتّم بالحيلة لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه كُوارة نحل فيها شيء من عسل، فتطعّم منه واشتغل بحلاوته عن التفكر في أمره، ونسي الحيّاتِ الأربع التي رجلاه عليها ولا يدري متى

obeikandl.com

يَثُرن به، أو إحداهنّ. ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين، وأنهما إذا قطعاهما وقع في فم التِّنِّين فهلك. فلـم يزل لاهيا ساهياً حتى هلك.

فشبّهتُ البئر بالدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ومخاوف، وشبَّهت الحيّات الأربع بالأخلاط الأربعة التي تعمّدت الإنسان، ومتى يَهجَ منها شيء فهو كالحُمة من الأفعى والسم المميت، وشبّهت الغصنين بالحياة، وشبّهت الجرذين بالليل والنهار، وقرضهما دأبهما في إنفاد الآجال التي هي حصون الحياة، وشبّهتُ التِّنِّين بالموت الذي لابدّ منه، والعسلُ هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغَله عن نفسه، وتُلهيه عن التحيّل لخلاصه، وتصّده عن سبيل نجاته.

فصار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت من عملي لمعَادي، لعلّي أصادف فيما أمامي زماناً فيه دليلُ على هداي، وسلطانُ على نفسي، وأعوانُ على أمري، فاقمتُ على ما وصفتُ من حالي، وانصرفتُ من أرض الهند إلى بلادي، وانتسخت من كتبهم كتباً كثيرة ، ومنها هذا الكتاب.

Obeikandi.com

بـاب
الأسد والثور

obeikandl.com

obeikandl.com

باب
الأسد والثور

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، وهو رأس البراهمة:

- اضرب لي مثلا لمتحابّين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء.

مثل الشيخ وبنيه الثلاثة

قال بيدبا:

- إذا ابتلي المتحابّان بان يدخل بينهما الكذوب المحتال، لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا، ومن أمثال ذلك أنه كان بارض(دستاوند) رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين، فلمّا بلغوا

obeikandl.com

أشـدّهم أسـرفوا في مـال أبـيهم ولم يكونـوا احترفـوا حرفـة يكسبون لأنفسهم بها خيرا، فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم، و كان من قوله لهم:

- يـا بـنـيّ إنّ صاحب الدّنيا يطلب ثلاثة أمور لن يُدركها إلاّ باربعة أشياء: أمّا الثلاثة التي يطلب فالسّعة في الرّزق والمنزلة في النّاس والزّاد للآخرة، و أمّا الأربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة: فاكتساب المال من أحسن وجه يكون، ثم حُسن القيام على ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويُرضي الأهل والإخوان، فيعود عليه نفعه في الآخرة.

فمن ضيّع شيئًا من هذه الأحوال لم يُدرك ما أراد من حاجته لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به، وإن هو كان ذا مال واكتساب، ثم لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى مُعدما، وإن هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلّة الإنفاق من سرعة الذّهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلاّ غبار الميل، ثم هو مع ذلك سريع فناؤه، وان هو أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه أو أخطا به مواضع استحقاقه، صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له، ثم لم يمنع ذلك أيضا ماله من

التلّف بالحوادث والعلل التي تجري عليه كمحبس الماء الذي لاتزال المياه تنصبّ فيه فإن لم يكن له مخرج ومناص ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي، خرِب وسال ونزّ من نواح كثيرة، وربمّا انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعا.

ثم إن بني الشيّخ اتّعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أنّ فيه الخير و عولّوا عليه، فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها (ميّون) فاتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرّها ثوران يقال لأحدهما شَتْربة وللآخر بَندبَة. فوحِل شتربة في ذلك المكان فعالجه الرّجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على إخراجه، فذهب الرّجل و خلّف عنده رجلا يشارفه لعلّ الوحل ينشف فيتبعه به فلمّا بات الرّجل بذلك المكان تبرّم به واستوحش فترك الثّور والتحق بصاحبه فاخبره أن الثّور قد مات وقال له:

- إنّ الإنسان إذا انقضَت مدّته وحانت منيتّه فهو وإن اجتهد في التّوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يُغن ذلك عنه شيئا، وربمّا عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالا عليه.

مثل الرّجل و الذئب و اللصوص

كالذي قيل إن رجلا سلك مفازة فيها خــوف مــن السبّــاع، و كــان الرّجل خبيرا بوعث تلك الأرض وخوفها، فلمّا سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذّئاب وأضراها، فلمّا رأى الرّجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرّز فيه من الذئب فلم ير إلا قرية خلف واد فذهب مُسرعا نحو القرية، فلمّا أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذّئب قــد أدركه فالقى نفسه في الماء وهو لايحسن السّباحة وكاد أن يغرق لولا أن بصر به قوم من أهل القرية فاسرعوا لإخراجه، فاخرجــوه وقد أشرف على الهلاك، فلمّا حصل الرّجل عندهم وأمِن على نفسه من غائلة الذّئب على عُدوة الوادي شاهد بيتا مُفردا، فقــال:

- أدخل هذا البيت فاستريح فيه، فلمّا دخله وجد جماعة من اللّصوص قد قطعوا الطّريق على رجل من التّجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله.

فلمّا رأى الرّجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فاسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح ممّا حلّ به مــن

الهول والإعياء إذ سقط عليه الحائط فمات.

قــال الرّجل:

- صدقت قد بلغني هذا الحديث، وأمّا الثّور فانّه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل في مرج مُخضب كثير الماء والكلإ، فلمـا سمَن وأمِن جعل يخور ويرفع صوته بالخُوار، وكان قريبا منـه أجمةٌ فيها أسد عظيم وهو ملك تلك النّاحية ومعه سباعٌ كثيـرة وذئاب وبنات آوى وثعالبٌ وفهودٌ ونمورٌ، وكان هذا الأسد منفـردا برأيه غير آخذ برأي أحد من أصحابه، فلمّا سمع خُـوار الثّور خامـره منه هيبة لأنه لم يكن رأى ثورا قـط ولا سمـع خـواره، لأنه كان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يُؤتى برزقـه كلّ يوم على يد جُنده، وكان فيمن معه من السبّاع ابنـا آوى، يقـال لأحدهما كليلة و الآخر دمنة وكانا ذوي دهـاء وعلـم و أدب، فقـال دمنة يوما لأخيه كليلة:

- يا أخي ما شان الأسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافا لعادته؟.

قــال له كليلة:

- ما شانك أنت والمسالة عن هذا؟، نحن على باب ملكنا آخذين بما أحبّ وتاركين ما يكره ولسنا من أهل المرتبة التـي

يتناول أهلها كلام الملوك والنّظر في أمورهم، فامسك عن هــذا واعلم أنه من تكلّف من القول والفعل ما ليس من شانه أصابه ما أصاب القرد من النجّار.

قـــال دمنة:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل القرد و النجّار

قـــال كليلة:

- زعموا أنّ قردًا رأى نجّارًا يشق خشبة وهو راكب عليها وكلمّا شقّ منها ذراعا أدخل فيها وتدا. فوقف ينظر إليه وقــد أعجبه ذلك، ثم إن النّجار ذهب لبعض شانه فقام القرد وتكلّف ما ليس من شانه فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتــد ووجهــه قبل طرف الخشبة فتدلى ذنبُه في الشّق ونزع الوتــد فلزم الشّق عليه فكاد يُغشى عليه من الألم، ثم إنّ النجّار وافــاه فاصابه على تلك الحالة فاقبل عليه يضربه، فكان ما لقــي من النجّار من الضرب أشدّ ممّا أصابه من الخشبة.

obeikandl.com

قـــال دمنة:

- قد سمعت ما ذكرت، ولكن أعلم أن كلّ من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وإنّما يدنو منهم ليسُرّ الصديق ويكبت العدوّ، وإنّ من الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدّون كالكلب الذي يُصيب عظما يابسا فيفرح به، وأمّا أهل الفضل والمروءة فلا يُقنعهم القليـل ولا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل لـه وهو أيضا لهم أهل كالأسد الذي يفترس الأرنب فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير، ألا ترى أنّ الكلب يُبصبص بذنبه حتى تُرمـى له الكِسرة وأنّ الفيل المعترف بفضله وقوّته إذا قدّم إليـه علفـه لا يعتلفه حتى يُمسح وجهه ويتملّق له، فمـن عـاش ذا مال وكان ذا فضل وأفضال على أهله وإخوانه فهو وإن قـلّ عمره طويل العمر، ومن كان في عيشه ضيق وقلّة وإمساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيا منه، ومن عمل لبطنه وقنـع وترك ما سوى ذلك عدّ من البهائم.

قـــال كليلة:

- قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أنّ لكل إنسان منزلة وقدرا فان كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع، وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها.

قـــال دمنة:

- إن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة، ومن لا مروءة لــه يحط نفسه من المنزلة الرّفيعة إلى المنزلة الوضيعــة، وإنّ الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد والانحطــاط منها هيّــن كالحجــر الثقيل، رفعه من الأرض إلى العاتق عسر ووضعه إلــى الأرض هيّن، فنحن أحقّ أن نروم ما فوقنا من المنــازل وأن نلتمس ذلك بمروءتنا ثم كيف نقنع بمنزلتنا ونحن نستطيع التحولّ عنها؟.

قـــال كليلة:

- فما الذي اجتمع عليه رأيك؟.

قـــال دمنة:

- أريد أن أتعرّض للأسد عند هذه الفرصة لأنه قد ظهر لــي أنّه ضعيف الرأي، ولعلي على هذه الحال أدنو منه فاصيب عنده منزلة ومكانة.

قـــال كليلة:

- وما يُدريك أن الأسد قد التبس عليه أمره؟.

قـــال دمنة:

- بالحسّ والرّأي أعلم ذلك منه، فإنّ الرّجل ذا الرأي يعرف

حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من حاله وشكله.

قـــال كليلة:

- فكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست بصاحب السلّطـــان ولا لك علم بخدمة السّلاطين.

قـــال دمنة:

- الرّجل الشديد القوّي لا يُعجزه الحمِل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل، والرّجل الضعيف لا يستقلّ به وان كان ذلك مـــن صناعته.

قـــال كليلة:

- فانّ السلّطان لا يتوخّى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الأدنى ومن قرب منه.

قـــال دمنة:

- يقـــال: إنّ مثل السلّطان في ذلك مثل شجر الكرم الذي يتعلّق باكرم الشّجر إنّما يتعلّق بمن دنا منه.

قـــال كليلة:

- وكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست تدنو منه؟.

قـــال دمنة:

- قد فهمت كلامك جميعه وتدبرت ما قلت وأنت صادق،

ولكن أعلم أنّ الذي هو قريب من السلّطان وليس ذلك موضعه ولا تلك منزلته، ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حقّ وحرمة، وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدي، وقد قيل لا يواظب على باب السلّطان إلاّ من يطرح الأنفة ويحمل الأذى، ويكظم الغيظ، ويرفق بالنّاس ويكتم السّرّ، فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مُراده.

قـــال كليلة:

- هبك وصلت إلى الأسد فما توفيقك عنده الذي ترجو أن تنال به المنزلة والحُظوة لديه؟.

قـــال دمنة:

- لو دنوت منه وعرفت أخلاقه لرفقِت في متابعته وقللت الخلاف له، وإذا أراد أمرا هو في نفسه صواب زيّنته له، وصبّرته عليه، وعرّفته بما فيه من النّفع والخير، وشجّعته عليه، وعلـــى الوصول إليه، حتى يزداد به سرورا، وإذا أراد أمرا يُخاف عليه ضّره وشينه بصّرته بما فيه من الضّرر والشين، وأطلعته علـــى مـــا في تركه من النفع والزّين، بحسب ما أجد إليه السبيل، وأنـــا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد مكانة ويرى منّي ما لا يراه من غيري، فإن الرّجل الأديب الرّفيق لو شاء أن يُبطل حقـــا أويحقّ باطلا لفعل، كالمصوّر الماهر الذي يصوّر في الحيطان صـــورا كانها خارجة وليست بخارجة وأخرى كانها داخلة وليست

بداخلة، فإذا هو عرف ما عندي، وبان له حُسن رأيي وجـودة فكري، التمس إكرامي وقرّبني إليه.

قـــال كليلة:

- أمّا إن قلت هذا أو قلت هذا فإني أخاف عليك من السلّطان فإن صحبته خطرة، وقد قـــالت العلماء:

- إنّ ثلاثــة لا يجتــرئ عليهــنّ إلاّ أهوج ولا يسلم منهــن إلاّ قليل، وهي: "صحبة السلّطان وائتمان النساء على الأسرار، وشُرب السمّ للتجربة". وإنّما شبه العلماء السلّطان بالجبل الصّعب المرتقى الذي فيه الثّمار الطيبة والجواهر النفيسة والأدوية النافعة، وهو مع ذلك معدن السبّاع والنّمور والذئاب وكل صار مخوف، فالارتقاء إليه شديد والمُقام فيه أشدّ.

قـــال دمنة:

- صدقت فيما ذكرت، غير أنه من لم يركب الأهوال لم ينل الرّغائب، ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة، لما لعلّه أن يتوقّاه فليس ببالغ جسيما، وقد قيل إنّ خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علوّ همّة وعظيم خطر، منها صحبة السلّطان وتجارة البحر ومناجزة العدوّ، وقد قـــالت العلماء في الرّجل الفاضل الرّشيد:

- إنّه لا ينبغي أن يُرى إلا في مكانين، ولا يليق به غيرهما،

إمّا مع الملوك مكرّما، أو مع النّسّاك متعبّدا، كالفيل إنّما جماله وبهاؤه في مكانين إمّا أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك.

قال كليلة:

- خار الله لك فيما عزمت عليه.

ثم إنّ دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعفّر وجهه بين يديه وسلّم عليه، فقال الأسد لبعض جلسائه:

- من هذا.

فقال:

- فلان ابن فلان

قال:

- قد كنت أعرف أباه، ثم ساله أين تكون؟.

قال:

- لم أزل مرابطا بباب الملك رجاء أن يحضر أمر فاعين الملك فيه بنفسي ورأيي، فانّ أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التي ربما يحتاج فيها إلى الذي لا يؤبه له وليس أحد يصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العُود الملقى في الأرض ربّما نفع فياخذه الرّجل فيكون عُدّته عند الحاجة إليه.

obeikandi.com

فلمّا سمع الأسد قول دمنة أعجبه وظنّ عنده نصيحة ورأيا فاقبل على من حضر فقـال:

- إنّ الرّجل ذا النبل والمُروءة يكون خامل الذّكر منخفض المنزلة، فتابى منزلته إلاّ أن تشبّ وترتفع كالشعلة من النّار يضربها صاحبها وتابى إلاّ ارتفاعا.

فلمّا عرف دمنة أنّ الأسد قد عجب منه.

قـال:

- أيّها الملك إنّ رعية الملك تحضر بابه رجاء أن يعرف مـا عندها من علمٍ وافرٍ، وقد يُقـال انّ الفضل فـي أمريـن: فضل القاتل على المُقاتل والعالم على العالم، وإنّ كثرة الأعوان إذا لـم يكونوا مختبرين ربّما تكون مضرّة على العمل، فانّ العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان، ولكـن بصالحـي الأعـوان، ومـثل ذلك مثل الرّجل الذي يحمل الحجر الثّقيـل فيقتل به نفسه، ولا يجد لـه ثمنا، والرّجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب وإن كثر.

فانت الآن أيّها الملك حقيق أن لا تحقر مروءة أنت تجـدها عند رجل صغير المنزلة، فإنّ الصّغير ربّما عظم كالعصب الـذي يؤخذ من الميتة فإذا عُملت منه القوس أُكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج إليه في الباس واللّهو. وأحبّ دمنة أن يُريّ القوم

أنّ ما ناله من كرامة الملك إنّما هو لرأيه ومروءته وعقله لأنهم عرفوا قبل ذلك أنّ ذلك لمعرفته أباه.

فقــال:

- إنّ السلّطان لا يقرب الرّجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم، ولكن ينبغي أن ينظر إلى كل رجل بما عنده لأنـه لاشيء أقرب إلى الرّجـل من جسده ومـن جسـده مـا يَدْوِيَ [يسقم، يمرض] حتـى يؤذيـه ولا يدفع ذلك عنه إلا بالدّواء الذي ياتيه من بعد.

فلمّا فرغ دمنة من مقالته هذه أعجب الأسد به إعجابا شديدا وأحسن الرّد عليه وزاد في كرامته، ثم قال الملك لجلسائه:

- ينبغي للسلّطان ألاّ يلحّ في تضييع حـق ذوي الحقـوق، والنّاس في ذلك رجلان: رجل طبعه الشّراسة فهو كالحيّـة إن وطئها الواطيء ولم تلدغه لم يكن جديرا أن يغرّه ذلك منـها فيعود إلى وطئها ثانية فتلدغه، ورجل أصل طباعه السّهولة فهو كالصّندل البارد الذي إذا أفرط في حكّه صار حارا مؤذيا.

ثم انّ دمنة استانس بالأسد وخلا به فقــال له يوما:

- أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك؟ فبينما هما في الحديث إذ خار شتربة خوارا شديدا فهيّج الأسد وكره أن يُخبر دمنة بما ناله، وعلم دمنة أنّ ذلك الصوت

قد أدخل على الأسد ريبة وهيبة، فساله: هل راب الملك سماع هذا الصّوت؟.

قـــال:

- لم يربني شيء سوى ذلك.

قـــال دمنة:

- ليس الملك بحقيق أن يدع مكانه لأجل الصوت، فقد قـــالت العلماء: أنه ليس من كلّ الأصوات تجب الهيبة.

قـــال الأسد:

- وما مثل ذلك؟

مثل الثعلب والطبل

قـــال دمنة:

- زعموا أنّ ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلّق على شجرة وكلّما هبّت الرّيح على قضبان تلك الشّجرة حرّكتها فضربت الطبل فسُمع له صوت عظيم باهر.

فتوجّه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته، فلمّا أتاه وجده ضخما فايقن في نفسه بكثرة الشّحم واللّحم فعالجه

obeikandl.com

حتى شقّه فلمّا رآه أجوف لاشيء فيه قــال:

- لا أدري لعل أفسل (أضعفها وأكثرها جبنًا) الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصّوت الــذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر ممّا في أنفسنا، فإن شــاء الملــك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت، فوافــق الأسد قوله فاذِن له في الذّهاب نحو الصوّت.

فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شتربة، فلمّا فصل دمــنة من عند الأسد فكّر الأسد في أمره وندم على إرسال دمــنة حيــث أرسله، وقــال في نفسه:

- ما أصبت في ائتماني دمنة وإطلاعه على سرِّي، وقد كــان ببابي مطروحا، فإنّ الرّجل الذي يحضر باب الملك إذا كان قــد أطيلت جفوته من غير جرم كان منه، أوكان مبغيا عليه عنــد سلطانه، أوكان عنده معروفا بالشرَه، والحرص، أوكان قد أصابــه ضرّ وضيق فلم يُنعشه، أو كان قد أجرم جُرما فهو يخــاف العقوبة منه، أو كان يرجو شيئــا يضرّ الملــك، ولــه منه نفــع، أو يخاف في شيء ممّا ينفعه ضرا، أوكان لعدّو الملك سِلمًــا ولسِلْمِه حربا، فليس السّلطان بحقيق أن يعجل في الاسترسال

إلى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم.

وانّ دمنة داهية أريب وقد كان ببابي مطروحا مجفوّا، ولعلّـه قد احتمل عليّ بذلك ضغنا، ولعل ذلك يحمله على خيانتـي، وإعانة عدوّي ونقيصتي عنده، ولعلّه أن يصادف صاحب الصوت أقوى سلطانا مني فيرغب به عنّي، ويميل معه عليّ، ثم قـام من مكانه فمشى غير بعيد فبصُر بدمنة مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع إلى مكانه.

ودخل دمنة عليه فقـال له الأسد:

- ماذا صنعت وماذا رأيت؟.

قـال:

- رأيت ثورا وهو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته.

قـال:

- فما قـوّتـه؟.

قـال:

- لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الأكفاء فلـم يستطع لي شيئًا.

قـال الأسد:

- لا يغرّنّك ذلك منه، ولا يصغرنّ عندك أمره، فإنّ الرّيـح

الشديدة لا تعبا بضعيف الحشيش لكنّها تحطم طوال النّخل وعظيم الشّجر.

قـــال دمنة:

- لا تهابنّ أيّها الملك منه شيئًا، ولا يكبرنّ عليك أمره فانـــا آتيك به فاجعله لك عبدا سامعا مطيعا.

قـــال الأسد:

- دونك وما بدا لك.

فانطلق دمنة إلى الثور فقـــال له غير هائب ولا مُكترث:

- إنّ الأسد أرسلني إليك لآتيه بك وأمرني إن أنت عجلت إليه طائعا أن أؤمّنك على ما سلف من ذنبك في التاخّر عنه وتركك لقاءه، وإن أنت تاخّرت عنه وأحجمت أن أعجّل الرّجعة إليه فاخبره.

قـــال له شتربة:

- ومن هو هذا الأسد الذي أرسلك إليّ وأين هو وما حاله؟.

قـــال دمنة:

- هو ملك السبّاع وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه.

فرُعب شتربة من ذكر الأسد والسبّاع، وقـــال:

- إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه،

فاعطاه دمنة من الأمان ما وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد فاحسن للثّور وقرّبه وقـــال له:

- متى قدمت هذه البلاد؟ ولماذا قدمت؟، فقصّ عليه قصّته، فقـــال له الأسد:

- أصحبني وألزمني فإنّي مُكرمك، فدعا له الثور وأثنى عليــه. ثم أنّ الأسد قرّبه وأكرمه وأنس به وائتمنه على أســراره وشاوره في أمره، ولم تزده الأيّام إلاّ عُجبا به، ورغبة فيــه، وتقــريبا لــه، حتى صار أخصّ أصحابه عنده منزلة.

فلما رأى دمنة أن الثور قد اختصّ بالأسد دونه ودون أصحابــه وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه، حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كلّ مبلغ، فشكا ذلك إلى أخيه كليلــة وقـــال لـه:

- ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي وصُنعي بنفسي ونظري فيما ينفع الأسد وأغفلت نفع نفسي حتى جلبت إلى الأسد ثورا غلبني على منزلتي!.

قـــال كليلة:

- قد أصابك ما أصاب النّاسك.

قـــال دمنة:

- وكيف كان ذلك؟.

o p e i k a n d i . c o m

مثل الناسك واللص

قـــال كليلة:

- زعموا أن ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة فاخــرة، فبصر به سارق فطمع في الثياب فاتى النّاسك وقـــال لـه:

- إني أريد أن أصحبك فاتعلّم منك وآخذ عنك، فاذن لــه النّاسك في صحبته فصحبه متشبّها به ورفق له في خدمتــه، حتى إذا ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها.

فلمّا فقد النّاسك ثيابه علم أنّ صاحبه قد أخذها فتوجّه فــي طلبه نحو مدينة من المدن، فمرّ في طريقه بوعلين يتناطحان حتى سالت دماؤهما، فجاء ثعلب يلغ في تلك الدّماء، فبينما هــو في ولوغه في تلك الدّماء إذا أقبل عليه الوعلان بنطاحهمــا فقتلاه، ومضى النّاسك حتى دخل تلك المدينة فلــم يجد فيها ماوى إلا بيت امرأة فنزل بها، وكان للمرأة جاريــة تؤاجرها وكانت الجارية قد علقت رجلا تريد أن تتّخذه بعلا لهــا، وقد أضرّ ذلك بمولاتها، فاحتالت لقتله في تلك الليّلة التي كــان فيها الناسك ضيفا عندها، ثم إنّ الرّجل وافى فسقته من الخمرة حتى سكر، ونام ونامت الجارية إلى جانبه، فلمّا استغرقا فــي النوم عمدت لسمّ كانت قد أعدّته في قصبة لتنفخه في أنــف

الرّجل. فلمّا أرادت ذلك بدرت من أنفه عطسة فعكست السّمّ إلى حلق المرأة فوقعت ميتة، وكل ذلك بعين النّاسك وسمعه.

فلمّا رأى ذلك خرج يبتغي منزلا غيره فاستضاف رجلا إسكافا فاتى به امرأته وقال لها:

- انظري إلى هذا النّاسك وأكرمي مثواه وقومي بخدمته فقد دعاني بعض أصدقائي للشّرب عندهم، ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة إبنة تريد أن تزوجّها لرجل لم يكن زوجها يريده.

فكان الرجل يختلف إلى البيت في غياب زوجها والوسيط بينهما امرأة حجّام، فارسلت امرأة الإسكاف إلى امرأة الحجّام تامرها بالقدوم إليها، وتعرّف الرّجل غياب زوجها، وقالت:

- إنّ زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه، ولن يعود إلاّ سكران فقولي له يسرع الكرّة، ثم إنّ الرّجل جاء فقعد على الباب ينتظر الإذن، ووافق ذلك مجيء الإسكاف سكران فرأى الرّجل وارتاب به ودخل مغضبا إلى امرأته فاوجعها ضربا، ثم أوثقها في أسطوانة في المنزل وذهب فنام لا يعقل.

وجاءت امرأة الحجّام تُعلمها أنّ الرّجل قد أطال الجلوس، فقالت لها:

- إن شئت فاحسنت إليّ وحللّتني وربطتك مكاني

حتـى انطلق إليه وأعجل العودة، فاجابتها امرأة الحجّام إلى ذلك وحلّتها وانطلقت إلى الرّجل وأوثقت هي نفسها مكانها، فاستيقظ الإسكاف قبل أن تعود زوجته فناداها باسمها فلـم تجبـه امرأة الحجّام وخافت من الفضيحة أن ينكر صوتها، ثـم دعاها ثانية فلم تجبه، فامتلأ غيظا وحنقا وقام نحوها بالشّفـرة فجدع أنفها وقـال:

- خذي هذا فاتحفي به صديقك! وهولا يشكّ في أنها امرأته.

ثم جاءت امرأة الإسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجّام فساءها ذلك وأكبرته وحلّت وثاقها فانطلقت إلى منزلها مجدوعة الأنف، وكلّ ذلك بعين النّاسك وسمعه.

ثم إنّ امرأة الإسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها، ثم رفعت صوتها ونادت زوجها:

- أيّها الفاجر الظّالم قم فانظر كيف صُنْعك بي وصنع الله بـي كيف رحمني، وردّ أنفي صحيحا، كما كان، فقام وأوقـد المصباح ونظر فإذا أنف زوجته صحيح، فاستغفر إليها وتاب من ذنبه واستغفر إلى ربّه.

وأمّا امرأة الحجّام فإنّها لما وصلت إلى منزلها تفكّرت في طلب العذر عند زوجها وأهلها في جدع أنفها ورفع الالتباس.

فلمّا كان عند السّحر استيقظ الحجّام فقـــال لامرأته:

- هاتي متاعي كلّه فإني أريد المضيّ إلى بعض الأشراف، فاتته بالموسى، فقـــال لها:

- هاتي الأدوات جميعها فلم تاته إلا بالموسى فغضب حين أطالت التكرار ورماها به فالقت نفسها إلى الأرض وولولت وصاحت: أنفي أنفي وجلّبت حتى جاء أهلها وأقرباؤها فرأوها علـــى تلك الحال فاخذوا الحجّام فانطلقوا به إلى القاضي، فقـــال لـــه القاضي:

- ما حملك على جدع أنف امرأتك؟، فلم تكن له حجّة يحتّج بها، فامر به القاضي أن يُقتصّ منه. فلما قُدّم للقصاص وافـــى الناسك فتقدّم إلى القاضي وقـــال له:

- أيّها الحاكم لا يشتبهنّ عليك هذا الأمر فإن اللصّ ليـــس هو الذي سرقني، وإن الثعلب ليس الوعلان قتلاه، وإنّ المرأة ليـــس السّمّ قتلها، وإنّ امرأة الحجّام ليس زوجها جدع أنفها، وإنّما نحن فعلنا ذلك بانفسنا، فساله القاضي عن التفّسير فاخبره بالقصة، فامر القاضي بإطلاق الحجّام.

قـــال دمنة:

- قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بامري، ولعلّي ما ضرّني أحد سوى نفسي، ولكن ما الحيلة؟.

قـــال كليلة:

- أخبرني عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه في ذلك.

قـــال دمنة:

- أمّا أنا فلست اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الأسد فـوق ما كانت عليه، ولكن ألتمس أن أعود إلى ما كنت عليه، فـإنّ أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنّظر فيها والاحتيال لها بجهده، منها النّظر فيما مضى من الضّرّ والنّفع، أن يحترس من الضّرّ الذي أصابه فيما سلف لئلاّ يعود إلى ذلك الضّر، ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته، ومنها النظر فيما هو مقيم فيـه من المنافع والمضار والاستيثاق مما ينفع، والهرب مما يضّر، ومنها النّظر في مستقبل ما يرجو من قبل النّفع وما يخاف مـــن قبل الضّر ليستتمّ ما يرجو ويتوقّى ما يخاف بجهده.

وإنّي لما نظرت في الأمر الذي به أرجو أن تعود منزلتــي ومــا غُلبــت عليه ممــا كنــت فيه لم أجــد حيلــة ولا وجهــا إلاّ الاحتيال لآكل العُشب هذا حتى أفرق بينه وبيـن الحيــاة، فإنــه إن فـارق الأسد عادت لـي منزلتـي، ولعـلّ ذلك يكون خيرا للأسد فإنّ إفراطه في تقريب الثور خليق أن يشينــه ويضــرّه فــي أمره.

قـــال كليلة:

- ما رأى على الأسد في رأيه في الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا.

قـــال دمنة:

- إنّما يؤتى السلّطان ويفسد أمره من قبل ستّة أشياء: الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق، فاما الحرمان فان يُحرم من صالحي الأعوان والنّصحاء والسّاسة من أهـــل الـــرأي والنّجدة والأمانة، ويترك التفقد ممن هو كذلك، وأمـــا الفتنة فهو تحارُب النّاس ووقوع الحرب والنّزاع بينهم، وأمـــا الهـــوى فالإغرام بالنّساء والحديث واللّهو والشرّاب والصيد ومـــا أشبه ذلك، وأما الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمح اللّسان بالشّتم واليد بالبطش في غير موضعهما، وأمّا الزّمان فهو مـــا يُصيب النّاس من السّنين من الموت ونقص الثمرات والغـــزوات وأشباه ذلك، وأما الخُرق فإعمال الشّدّة في موضع الليّـــن والليّن في موضع الشّدّة، وإنّ الأسد قد أُغرم بالثور إغـــراما شديدا هـــو الذي ذكرت لك أنّه خليق إن يشينه ويضرّه في أمره.

قـــال كليلة:

- وكيف تطيق الثور وهو أشدّ منك وأكرم على الأسد منك وأكثر أعوانا؟.

قـــال دمنة:

- لا تنظر إلى صغري وضعفي، فإنّ الأمور ليست بالضعف ولا القوّة ولا الصّغر ولا الكبر في الجثة، فربّ صغير ضعيف قــد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء، أو لــم يبلغك أن غرابا ضعيفا قد احتال لثعبان أسود حتى قتله.

قـــال كليلة:

-وكيف كان ذلك؟

مثل الغراب والأسود

قـــال دمنة:

- زعموا أن غُرابا كان له وكرٌ في شجرة على جبل، وكان قريبا منه جُحر ثعبان أسود فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فاكلها، فبلغ ذلك من الغراب فاحزنه، فشكا ذلك إلــى صديق له من بنات آوى وقـــال له:

- أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه، قـــال له:

- وما هو؟.

قـــال الغراب:

- قد عزمت أن أذهب إلى الأسود إذا نام فانقر عينيه

فافقاهما لعلّي أستريح منه، قـــال ابن آوى:

- بئس الحيلة التي احتلت! فالتمس أمرا تصيب فيه بُغيتك من الأسود من غير أن تغرّر بنفسك وتخاطر بها، وإيّاك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه.

قـــال الغراب:

-وكيف كان ذلك؟

مثل العلجوم و السرطان

قـــال ابن آوى:

- زعموا أن عُلجوما عشّش في أجمة كثيرة السّمك، فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فاصابه جوع وجهد شديد، فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره، فمرّ به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن، فدنا منه وقـــال:

- مالي أراك أيّها الطائر هكذا حزينا كئيبا؟.

قـــال العُلجوم:

- وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما هنا من السّمك، و إنّي قد رأيت اليوم صيّادين قد مرّا بهذا المكـــان،

obeikandl.com

فقـــال أحدهما لصاحبه:

-إنّ هنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا ؟، فقـــال الآخر:

- إني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا فلنبدأ بذلك، فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فافنيناه، وقد علمت أنهمــا إذا فرغا مما ثمَّ، انتهيا إلى هذه الأجمة، فاصطادا ما فيها، فــإذا كــان ذلك فهو هلاكي ونفاد مدّتي فانطلق السّرطان مــن ساعتــه إلــى جماعة السّمك فاخبرهن بذلك، فاقبلن إلــى العُلجوم فاستشرنه وقلن له:

- إنّ أتيناك لتشير علينا، فإنّ ذا العقل لا يدع مشاورة عدوّه.

قــال العُلجوم:

- أما مكابرة الصّيّادين فلا طاقة لي بها، ولا أعلم الحيــلــة إلاّ الذهاب إلى غدير قريب مــن هنــا فيه سمك ومياه كثيــرة وقصب، فــإن استطعتنّ الانتقال إلــيــه كان فيه صلاحكنّ وخصبُكنّ. **[هكذا كتب جمع السمكات المؤنث بضمير النون (كنون النسوة) في النسخ المطبوعة المختلفة لكتاب كليلة ودمنة].**

فقلن له:

- ما يمنّ علينا بذلك غيرك، فجعل العُلجوم يحمل في كلّ يوم سمكتين، حتى ينتهي بهما إلــى التلاّل فياكلهمــا، حتى إذا كان

ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له:

- إني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي إلى ذلك الغدير فاحتمله و طار به حتى إذا دنا من التّلّ الذي كان ياكل السمك فيه، نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك، فعلم أنّ العُلجوم هو صاحبها وأنه يريد به مثل ذلك، فقال في نفسه:

- إذا لقي الرّجل عدوّه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك سواء قاتل أم لم يُقاتل كان حقيقا أن يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا، ثم أهوى بكلاليبه على عنق العلجوم فعصره فمات، وتخلصّ السرطان إلى جماعة السّمك فاخبرهن بذلك.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّ بعض الحيلة مهلكة للمحتال، ولكنّي أدلّك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود، من غير أن تهلك، وتكون فيه سلامتك.

قال الغراب:

- وما ذاك؟.

قال ابن آوى:

- تنطلق فتتبصّر في طيرانك لعلّك أن تظفر بشيء من حليّ النّساء فتخطفه، ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون، حتى تاتي جُحر الأسود فترمي بالحليّ عنده، فإذا رأى

النّاس ذلك أخذوا حليّهم وأراحوك من الأسود.

فانطلق الغراب محلّقا في السّماء، فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل، وقد وضعت ثيابها وحليّها ناحية، فانقضّ واختطف من حليّها عقدا وطار به، فتبعه الناس، ولـم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كلّ أحــد حتى انتهى إلى جُحر الأسود، فالقى العقد عليه، والنّاس ينظرون إليه، فلمّا أتــوه أخــذوا العقد وقتلوا الأسود.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّ الحيلــة تُجــزي مــا لا تُجزي القــوّة.

قــال كليلــة:

- إنّ الثــور لو لم يجتمع مع شــدّته رأيــه لكــان كمــا تقول، ولكــنّ له مع شدّته وقوّته حُســن الرأي والعقــل فمــاذا تستطيع لــه ؟.

قــال دمنــة:

- إنّ الثّور لكما ذكرت في قوّته ورأيه ولكنه مقرّ لي بالفضل، وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الأرنب الأسد.

قــال كليلة:

-وكيف كان ذلك؟.

مثل الأرنب والأسد

قـــال دمنة:

- زعموا أن أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكـــان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شـــيء كثيـــر، إلاّ أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتـــت إلى الأسد فقـــالت له:

- إنّك لتصيب منا الدّابّة بعد الجهد والتعب، وقـــد رأينـــا لـــك رأيـــا فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمّنتـــنا ولـــم تخفـــنـــا فلـــك علينا في كل يوم دابّة نرسل بها إليك فـــي وقت غذائك، فرضـــي الأسد بذلك وصالح الوحوش عليه، ووفين له به، ثـــم ان أرنبا أصابتها القرعة وصارت غذاء الأســـد، فقـــالت للوحوش:

- إنّ أنتنّ رفقتنّ بي فيما لا يضرّكنّ رجوت أن أريحكنّ من الأسد، فقـــالت الوحوش:

- وما الذي تكلّفننا من الأمور؟.

قـــالت:

- تامرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يُمهلني ريثما أبطئ

عليه بعض الإبطاء، فقلــن لــهــا:

- ذلك لك. فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغذى فيه الأسد، ثم تقدّمت إليه وحدها رويدا وقد جاع، فغضب وقام من مكانه نحوها، فقــال لها:

- من أين أقبلت؟.

قــالت:

- أنا رسول الوحوش إليك بعثنني ومعي أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فاخذها مني وقـــال:

- أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحوش، فقلت له:

- إن هذا غذاء الملك أرسلت به الوحــوش معي إليــه فلا تغصبنّه، فسبك وشتمك فاقبلت مسرعة لأخبرك، فقــال الأسد:

- انطلقي معي فاريني موضع هذا الأسد، فانطلقت الأرنب إلى جبّ فيه ما غامر صاف، فاطلعت فيه وقــالت:

- هذا المكان، فاطلع الأسد فرأى ظلّه وظّل الأرنب في الماء فلم يشك في قولها ووثب إليه ليقاتله فغرق في الجبّ، فانقلبت الأرنب إلى الوحوش وأعلمتهنّ صنيعها بالأسد.

قــال كليلة:

- إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيـه مضـرة للأســد فشانك، فإن الثور قد أضرّ بي وبك وبغيرنا من الجند،

obeikandi.com

وإن أنت لم تقدر على ذلك إلاّ بهلاك الأسد فلا تقدم عليه، فإنـه غدر مني ومنك.

ثم إنّ دمنة ترك الدخول على الأسد أياما كثيرة، ثم أتـاه علـى خلوة منه، فقـال له الأسد:

- ما حبسك عني؟ منذ زمان لم أرك، ألا لخير كان انقطاعك.

قـال دمنة:

- خيرا فليكن أيّها الملك.

قـال الأسد:

- وهل حدث أمر؟.

قـال دمنة:

- حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده،

قـال:

- و مـا ذاك؟.

قـال:

- كـلام فظيـع.

قـال:

- أخـبـرنـي بـه.

قـال دمنة:

- إنـه كـلام يكرهـه سامعـه ولا يشـجـع عليـه قائـلـه،

opeikandl.com

وإنـك أيهـا الملك لذو فضيلة ورأيك يدّلك على أنه يوجعني أن أقول مــا تكره، وأثق بك أن تعرف نصحي وإيثاري إيّاك على نفسي، وأنــه ليعرض لي أنك غير مصدّقي فيما أخبرك به، ولكنــي إذا تذكرت وتفكّرت أنّ نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لــم أجــد بُدا من أداء النصح الذي يُلزمني، وإن أنت لم تسالني وخفت أن لا تقبله مني، فإنه يقــال من كتم السّلطان نصيحته والإخوان رأيه فقد خان نفسه.

قــال الأسد:

- فما ذاك؟

قــال دمنة:

- حدثني الأمين الصّدوق عندي أن شتربة خلا برؤوس جندك وقــال لهم:

- إني قد خبرت الأسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته، فاستبان لي أن ذلك يؤول منه إلى ضعف وعجز وسيكون لي وله شان من الشؤون، فلما بلغني ذلك علمت أن شتربة خوّان غدّار، وأنك أكرمته الكرامة كلهّا وجعلته نظير نفسك وهو يظنّ أنــه مثلك، وأنك متى زُلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا إلا بلغه فيك، وقد كان يُقال: إذا عرف الملك من أحد رعيته أنــه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه. فإن لم يفعل به ذلك كان

هو المصروع، وشتربة أعلم بالأمور وأبلغ فيها، والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه، فإنك لا تامن أن يكون وأن لا تستدركه، فإنه يقال: الرّجال ثلاثة: حازم وأحزم منه وعاجز. فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له، ولم يذهب قلبه شعاعا، ولم تع به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه، وأحزم من هذا المقدام ذو العدّة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه إعظاما ويحتال له حيلة حتى كانه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يُبتلى به، ويدفع الأمر قبل وقوعه، وأمّا العاجز فهو في تردّد وتمنّ وتوان حتى يهلك، ومن أمثال ذلك مثل السّمكات الثلاث، قال الأسد: وكيف كان ذلك؟.

مثل السمكات الثلاث

قال دمنة:

- زعموا أنّ غديرا كان فيه ثلاث سمكات: كيّسة وأكيس منها وعاجزة، وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربه أحد، وبقربه نهر جار، فاتّفق أنه اجتاز بذلك النّهر صيّادان فابصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السّمك، فسمعت السّمكات قولهما، فاما أكيسهنّ

فـإنهـا لمّـا سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوّفت منهما فلم تعرّج علـى شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النّهر إلـى الغدير فنجت بنفسها، وأمّا الكيّسة فإنّها مكثت مكانها حتى جاء الصيّادان، فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبـت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدّا ذلك المكان فحينئذ قـالت:

- فرّطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال؟ وقلّما تنجح حيلة العجلة والإرهاق، غير أنّ العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا يياس على حال، ولا يدع الرأي والجهد، ثم إنّـها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتـارة علـى بطنها، فاخذها الصّيّادان فوضعاها على الأرض بين النهـر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت، وأمّا العاجزة فلم تزل فـي إقـبال وإدبار حتى صيدت..

قـال الأسد:

- قد فهمت ذلك ولا أظنّ الثور يغشّني ولا يرجو لـي الغوائل، وكيف يفعل ذلك؟ ولم يرمنّي سوءا قط ولم أدع خيرا إلا فعلته معه، ولا أمنية إلاّ بلّغته إيّاها!.

قـال دمنة:

- إنّ اللئيـم لا يزال نافعا ناصحا حتى يُرفع إلـى المنزلـة

التـــي ليس لها باهل، فإذا بلغها التمس ما فوقها ولا سيما أهــل الخيانــة و الفجــور، فــإن اللئيم الفاجــر لا يخــدم السلّطــان، ولا ينـصـح لــه إلاّ مــن فــوق، فــإذا استغنـى وذهبـت الهيبة عاد إلى جوهره، كذنب الكلـب الذي يُربـط ليستقيـم، فـلا يـزال مُستويا مـا دام مربـوطا فـإذا حـلّ انحـنى و تـعـوّج كـمـا كـان.

واعلـم أيّهـا الملـك أنـه مـن لـم يقبل مـن نُصحائـه مـا يثقُـل عليـه ممّا ينصحون له لم يحمد غبّ رأيه كالمـريض الـذي يـدع ما يصف له الطّبيب و يعـمـد إلـى مـا يشتهيه، وحـقّ علـى مـؤازر السلّطان أن يُبالغ في التحضيـض لـه علـى ما يزيد به سلطانه قـوّة ويزينـه، والـكـف عمّا يضـرّه ويشيـنـه وخيـر الإخـوان والأعـوان أقلّهم مداهنـة في النصيحة، وخيـر الأعمال أحمدها عاقبـة، وخير النّساء الموافقـة لبعلها، وخير الثناء مـا كـان علـى أفـواه الأخيار، وخيـر السلّطـان مـا لم يُخالطه بطـر، وخيـر الأخـلاق أعونـها علـى الـورع.

وقد قيل لو أن امرأ توسّد النّار وافــتــرش الحيّات كـان أحــقّ ألاّ يهنئه النوم والرجل إذا أحسّ من صاحبه بعداوة يريده بهـا لا يطمئن إليه، وأعجـز الملـوك آخذهـم بالهوينـا

وأقلّهـم نظرا فـي مستقبل الأمور وأشبههم بالفيل الهائـج المغتلـم الذي لا يلتفت إلى شـيء، فـإن أحزنـه أمـر تهـاون بـه وإن أضاع الأمور حمل ذلك علـى قرنائه.

قـال الأسد:

- لقد أغلظـت في القـول وقـول النّاصح مقبـول محمـول، وإن كان شتربة معاديا لي كما تقول فإنه لا يستطيع لي ضـرا، وكيـف يقدر على ذلك وهـو آكـل عشـب وأنـا آكـل لحـم؟ وإنّمـا هـو لي طعام وليس عليّ منه مخافة، ثم ليـس إلـى الغـدر بـه سبيـل بعد الأمان الذي جعلته لـه وبعـد إكرامـي لـه وثنـائـي عليـه، وإن غيّرت ما كان منـي وبدّلته فقد سفّهـت رأيي وجهّلـت نفسـي وغدرت بذمّـتـي.

قـال دمنة:

- لا يغرّنك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافـة، فـإن شتربة إن لم يستطعـك بنفسه احتال لك مـن قـبـل غيـره، ويقـال إن استضـافـك ضيف ساعـة مـن نهار وأنـت لا تعـرف أخلاقه فلا تامنه على نفسك ولا تامن أن يصلك منـه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث.

قـال الأسد:

- وكيف كان ذلك؟

مثل القملة والبرغوث

قــال دمنة:

- زعموا أنّ قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهـرا فكانـت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدبّ دبيبا رفيقا، فمكثـت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغـوثٌ فقــالت له:

- بت الليّلة عندنا في دم طيّب وفراش ليـن، فاقـام البرغـوث عندها حتى إذا آوى الرّجل إلى فراشه وثب عليـه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النّوم عنه، فقـام الرّجل وأمر أن يفتّش فراشه فنُظر فلم يُر إلاّ القملة فـاخذت فقُصعـت وفـرّ البرغـوث.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّ صاحب الشرّ لا يسلم من شرّه أحد، وإن هـو ضعـف عـن ذلك جاء الشرّ بسببـه، وإن كنـت لا تخاف من شتربـة فخف غيـره من جندك الذيـن قـد حملهم عليك وعلـى عداوتك. فوقـع في نفس الأسـد كـلام دمنة فقــال:

- فما الذي ترى إذن وبم تُشير؟.

قـــال دمنة:

- إن الضرّس الماكول لا يزال صاحبه منـه فـي ألـم وأذى حتى يُفارقه، والطّعام الذي قد عفن فـي البطن الرّاحة فـي قـذفـه، والعدّو المخيف دواؤه قتله.

قـــال الأسد:

- لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إيّاي، وأنا مرسل إليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه، ثم آمره باللّحاق حيث أحبّ.

فكره دمنة ذلك وعلم أن الأسد متى كلّم شتربة في ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى هو به واطلّع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره، فقـــال للأسد:

- أمّا إرسالك إلى شتربة فلا أراه لك رأيا ولا حزما، فلينظر الملك في ذلك، فإن شتربة متى شعر بهذا الأمر خفت أن يعاجل الملك بالمكابرة، وهو إن قاتلك قاتلك مستعدا وإن فارقك فارقك فراقا ياتيك منه النقص ويلزمك منه العار، مع أنّ ذوي الرّأي من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه، ولكن لكلّ ذنب عندهم عقوبة، فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السرّ عقوبة السرّ.

قـــال الأسد:

- إنّ الملك إذا عاقب أحدا عن ظنّة ظنّها من غير تيقّن

لجرمه فنفسه عاقب و إيّاها ظلم.

قــال دمنة:

- أما إذا كان هـذا رأي الملـك فـلا يدخلـنّ عليـك شتـربة إلا وأنـت مستعدّ له، وإيّاك أن تصيبه منك غـرّة أو غفلـة، فإنــي لا أحسب الملك حين يدخل عليه إلا سيعرف أنه قد هـمّ بعظيمة، ومن علامات ذلك أنّك ترى لونه متغيرا، وتـرى أوصالـه ترتعد، وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهزّ قرنيـه فعـل الـذي هـمّ بالنطاح والقتال.

قــال الأسـد:

- ساكون منه على حذر وإن رأيت منه ما يدلّ على ما ذكرت علمت أنّ ما في أمره شكّ.

فلما فرغ دمنة من تحميل الأسد على الثور، وعـرف أنّـه قــد وقع في نفسه ما كان يلتمس، وأنّ الأسد سيتحـذر الثـور ويتهيا له أراد أن ياتي الثور ليغريه بالأسد، وأحبّ أن يكـون إتيانـه مــن قبل الأسد مخافة أن يبلغه ذلك فيتاذى بـه، فقــال:

- أيّهـا الملـك ألا آتي شتربـة فانظـر إلـى حـالـه وأمـره وأسمـع كـلامـه لعلّي أطلـع على سـرّه فاطلـع الملك علـى ذلك وعلـى مــا يظهر لي منه؟، فاذن له الأسد في ذلك، فانطلق

فدخل علـى شتربة كالكئيب الحزين، فلما رآه الثور رحب بـه وقــال:

- ما كان سبب انقطاعك عني؟ فإني لم أرك منذ أيـام، أسلامة هو؟، قــال دمنة:

- ومتى كان من أهل السّلامة من لا يملك نفسه، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به، ولا ينفكّ على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمرّ ويامن فيها على نفسه!.

قــال شتربة:

- وما الذي حدث؟.

قــال دمنة:

- حدث ما قدّر وهو كائن، ومن ذا الذي غالـب القـدر؟، ومـن ذا الذي بلغ من الدّنيا جسيما من الأمور فلم يبطر؟ ومن ذا الـذي بلغ مناه فلـم يغتـرّ؟، ومـن ذا الـذي تبـع هـواه فلـم يخسـر ؟ ومن ذا الذي طلب من اللئام فلـم يحرم ؟، ومـن ذا الذي خالط الأشرار فسلم ؟، ومن ذا الذي صحب السلّطـان فـدام له منـه الأمـن والإحسـان؟، ولـقـد صدق الذي قــال: مثـل السلاطين في قلّـة وفـائـهـم لـمـن صحبهم وسخـاء أنفسهــم بمن فقـدوا من قرنـائهـم كمثل البغيّ كلّمـا فقدت واحدا جاء آخر.

قـــال شتربة:

- إني أسمع منك كلاما يدل على أنه قد رابَكَ من الأسد ريب وهالك منه أمر.

قـــال دمنة:

- أجل لقد رابني منه ذلك، وليس هو في أمر نفسي.

قـــال شتربة:

- ففي نفس من رابك؟.

قـــال دمنة:

- قد تعلم ما بيني وبينك وتعلم حقّك عليّ، وما كنت جعلت لك من العهد و الميثاق أيام أرسلني الأسد إليك، فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما أطلعت عليه مما أخاف عليك منه.

قـــال شتربة:

- وما الذي بلغك؟.

قـــال دمنة:

- حدّثني الخبير الصّدوق الذي لا مرية في قوله أنّ الأسد قـــال لبعض أصحابه وجلسائه:

- قد أعجبني سمن الثور وليس لي إلى حياته حاجة فانا آكله ومطعم أصحابي من لحمه، فلما بلغني هذا القـول وعرفـت

غـدره وسوء عهده أقبلت إليك لأقضي حقّك وتحتال أنت لأمرك.

فلما سمع شتربة كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعـل لـه مـن العهد والميثـاق وفكّر في أمر الأسد ظنّ أن دمنـة قـد صدقـه ونصح له، ورأى أن الأمر شبيه بما قــال دمنة، فاهمـّه ذلـك وقــال:

- مـا كـان للأسـد أن يغـدر بــي، ولـم آت إليـه ذنـبـا، ولا إلـى أحـد مـن جنـده منـذ صـحـبـتـه، ولا أظـنّ الأسـد إلاّ قـد حُمل عليّ بالكذب وشبـه عليـه أمـري، فـإن الأسـد قـد صحبه قوم سوء، وجرّب منهـم الكـذب و أمـورا تصـدق إذا بلغته عن غيرهم، فإن صحبة الأشرار ربّما أورثت صاحبها سوء ظنّ بالأخيار، وحملته تجربتــه على الخطا كخطإ البطة التـي زعموا أنها رأت في الماء ضوء كوكـب فظنّته سمكة فحاولت أن تصيدها، فلما جرّبت ذلك مرارا علمت أنه ليس بشيء يُصاد فتركته، ثم رأت من غد ذلك اليـوم سمكة، فظنت أنها مثل الذي رأته بالأمس فتركتها ولــم تطلب صيدها.

فإن كان الأسد بلغه عنّي كذب فصدقه عليّ وسمعـه فـيّ فمــا جرى على غيري يجري عليّ، وإن كان لم يبلغه شـيء وأراد السّوء بي من غير علّة فإن ذلك لمن أعجب الأمور، وقـد كان يقال: إنّ من العجب أن يطلب الرّجل رضى صاحبه ولا يرضى،

وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط، فإذا كانت الموجدة عن علّة كان الرّضى موجودا والعفو مامولا، وإذا كانت عن غير علة انقطع الرّجاء، لأنّ العلّة إذا كانت موجودة في ورودها كان الرّضى مامولا في صدورها، وقد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرما لا صغير ذنب ولا كبيره، ولعمري ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس في كل شيء من أمره ولا يتحفّظ من التيقظ أن لا يكون منه صغيرة ولا كبيرة يكرهها صاحبه، ولكن الرّجل ذا العقل والوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطا، ثم ينظر هل في الصّفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصّفح عنه سبيلا.

فإن كان الأسد قد اعتقد عليّ ذنبا، فلست أعلمه إلاّ أني خالفته في بعض رأيه بطرا منيّ ونصيحة له، فعساه يكون قد أنزل أمري على الجرأة عليه والمخالفة له، ولا أجد لي في هذا المحضر إثما ما، لأنّي لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر عند مخالفته الرّشد والمنفعة والدّين، ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه ولكن كنت أخلو به و أكلّمه سرا كلام الهائب الموقّر، وعلمت أنه من التمس الرّخص

من الإخوان عند المشاورة، ومن الأطباء عند المرض، ومـن الفقهـاء عند الشبهة فقد أخطا منافع الرأي، وازداد فيما وقـع فيـه من ذلك تورّطا وحمل الوزر.

وإن لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السّلطان فإنّ مصاحبة السّلطان خطرة. وإن صوحب بالسّلامة والثقة والمودّة وحسن الصّحبة، وإن لم يكن هذا ولا هذا فهـو إذن من مواقع القضاء والقدر الذي لا يُدفع، والقدر هو الـذي يسلب الأسد قوّته وشدّته ويدخله القبر، وهوالذي يحمل الرّجـل الضّعيف على ظهر الفيل المغتلم، وهو الذي يسلط على الحيّة ذات الحُمة من ينزع حمتها ويلعب بها، وهـو الـذي يحزّم العاجز ويثبّط السهم المنطلق ويوسّع على المقتـر ويشجـع الجبان ويجبّن الشّجاع عندما تعتريه المقادير بالعلـل التي اتفقت لها.

قــال دمنة:

- إن إرادة الأسد بك ليست من تحميل الأشرار ولا سكرة السلّطان، ولا غير ذلك، ولكنّها الغدر والفجور منه فإنّه فاجر خوّان غدّار، لطعامه حلاوة وآخره سمّ مميت.

قــال شتربة:

- إني قد استلذذت الحلاوة إذا ذقتها وقد انتهيت إلى آخرها

الذي هو الموت، ولولا الجبْر ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم، وأنا آكل عشب، فانا في هذه الورطة كالنّحلة التــي تجلس على نور النّيلوفَر إذا تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللّذة، فإذا جاء الليل ينضمّ عليها، فتتلجلج فيهــا وتموت، ومن لــم يرض من الدّنيا بالكفاف الذي يُغنيه وطمحت عينه إلى ما سوى ذلك، ولم يتخوّف عاقبتها كان كالذّباب الذي لا يرضى بالشجر والرّياحين ولا يقنعه ذلك حتــى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل باذنيــه فيهلكه، ومن يبذل ودّه ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبــذر في السّباخ، ومن يشر على المعجب فهو كمن لا يشاور الميت أو يسارّ الأصمّ.

قـــال دمنة:

- دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك.

قـــال شتربة:

- بايّ شيء احتال لنفسي إذا أراد الأسد أكلي مــع مــا عرّفتني من رأي الأسد وسوء أخلاقه. وأعلم أنه لو لم يرد بــي إلاّ خيرا، ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي لقدروا على ذلك، فإنه إذا اجتمع المكرة الظلّمة على البريء الصّالح كانوا خلقاء أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قويّ، كان أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة.

قـــال دمنة:

- وكيف كان ذلك ؟

مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل

قـــال شتربة:

- زعموا أن أسدا كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة: ذئب وغراب وابن آوى، وإنّ رعاة مرّوا بذلك الطريق ومعهم جمال، فتخلّف منها جمل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد، فقـــال له الأسد:

- من أين أقبلت.

قـــال:

- من موضع كذا.

قـــال:

- فما حاجتك؟ .

قـــال:

- ما يامرني به الملك.

قـــال:

- تقيم عندنا فـي السّعـة والأمـن والخصب. فاقام الأسـد

obeikandl.com

والجمل معه زمانا طويلا، ثم إن الأسد مضى في بعـض الأيّـام لطلب الصّيد، فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديـدا وأفلت مـنه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدّم، وقد خدشه الفيل بانيابـه، فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكـا ولا يقـدر علـى طلب الصّيد، فلبث الذّئب والغراب وابن آوى أياما لا يجـدون طعامـا لأنهـم كانـوا ياكلـون مـن فضـلات الأسـد وطعامـه، فاصابـهم جوع شديـد وهزال وعـرف الأسد ذلك منهـم، فقـــال:

- لقد جُهدتم واحتجتم إلى ما تاكلون، فقـــالوا:

- لا تهمنّا أنفسنا، لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد مـا ياكله ويصلحه.

قـــال الأسد:

ما أشكّ في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلّكم تصيبون صيدا فاكسبكم ونفسي منه.

فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوّا ناحية وائتمروا فيما بينهم فقـــالوا:

- ما لنا ولهذا آكل العشب الذي ليس شانه من شاننا ولا رأيه من رأينا، ألا نزيّن للأسد فياكله ويطعمنا من لحمه؟.

قـــال ابن آوى:

- هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد لأنه قد أمّن الجمل وجعل له من ذمّته عهدا.

قـــال الغراب:

- أنـا أكـفـيـكـم أمر الأسـد. ثـم انطلـق فـدخـل علـيـه، فقـــال لـه الأسد:

- هل أصبت شيئًا؟.

قـــال الغراب:

إنّما يصيب من يسعى ويبصر، ونحن لا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع، ولكن قد وفقنا لرأي واجتمعنا عليه إن وافقـنا الملك فنحن له مجيبون.

قـــال الأسد:

- ومـا ذاك؟.

قـــال الغراب:

- هذا الجمل آكل العشب المتمرّغ بيننا من غير منفعة لنـا منه ولا ردّ عائدة ولا عمل يُعقب مصلحة. فلما سمع الأسد ذلـك غضب وقـــال:

- ما أخطا رأيك وما أعجز مقـــالك وأبعدك عن الوفاء والرّحمة! وما كنت حقيقا أن تجترئ عليّ بهذه المقـــالة

وتستقبلني هذا الخطاب مع ما علمت أني قد أمّنت الجمل وجعلت له من ذمتي، أو لم يبلغك أنه لم يتصدق متصدّق بصدقة هي أعظم أجرا ممن أمّن نفسا خائفة وحقن دما مهدورا ؟ وقد أمّنته ولست بغادر به.

قال الغراب:

- إني لأعرف ما يقول الملك ولكنّ النفس الواحدة يُفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تُفتدى بهم القبيلة، والقبيلة يُفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء الملك، وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعل له من ذمّته مخرجا على أن لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يامر به أحدا، ولكنّا نحتال بحيلة لنا وله فيها... وظفر.

فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب. فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى صاحبيه فقال لهما:

- قد كلّمت الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل عند الأسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بامره وحرصا على صلاحه، ويعرض كل واحد منّا نفسه عليه لياكله فيرد الآخران عليه ويسفّهان رأيه ويبيّنان الضّرر في أكله، فإذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الأسد عنا.

obeikandi.com

ففعلـوا ذلـك وتقدّموا إلى الأسد، فقـــال الغراب:

- قد احتجت أيّها الملك إلى ما يقوّيك ونحن أحقّ أن نهب أنفسنا لك، فإنّا بك نعيش، فإذا هلكت فليس لأحد منّا بقـاء بعدك، ولا لنا في الحياة من خيرة، فلياكلني الملك فقد طبت بذلك نفسا. فاجابه الذئب وابن آوى أن أسكت فلا خير للملك فـي أكلك وليس فيك شبع. قـــال ابن آوى:

- لكن أنا أشبع الملك فلياكلني فقد رضيت بذلك، وطبت عنه نفسا، فردّ عليه الذئب والغراب بقولهما: إنك لنتن قذر.

قـــال الذئب:

- إنّي لست كذلك فلياكلني الملك فقد سمحت بذلك وطابت به نفسي، فاعترضه الغراب وابن آوى وقـــالا:

- قد قـــالت الأطبّاء من أراد قتل نفسه فلياكل لحم ذئب.

فظنّ الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الأعذار فيسلم ويرضى الأسد عنه بذلك وينجو من المهالك، فقـــال:

- لكن أنا فيّ للملك شبع وريّ ولحمي طيب هنيء، وبطني نظيف فلياكلني الملك ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسي به. فقـــال الذئب وابن آوى والغراب:

- لقد صدق الجمل وكرم وقـــال ما عرف... ثمّ إنهم وثبوا عليه فمزّقوه.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب الأسد قد اجتمعوا على هلاكي فإني لست أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس، وإن كان رأي الأسد لي على غير ما هم عليه من الرّأي، فإنّ ذلك لا ينفعني ولا يُغني عني شيئًا، وقد يقال:

- خير السلاطين من عدل في الناس، ولو أنّ الأسد لم يكن في نفسه لي إلاّ الخير والرّحمة لغيّرته كثرة الأقاويل، فإنها إذا كثرت لم تكف دون أن تذهب الرّقة والرأفة. ألا ترى أن الماء ليس كالقول وأنّ الحجر أشدّ من الإنسان، فالماء إذا دام انحداره على الحجر لم يزل حتى يثقبه ويؤثّر فيه، وكذلك القول في الإنسان.

قال دمنة:

- فماذا تريد أن تصنع الآن؟.

قال شتربة:

- ما أرى إلاّ الاجتهاد والمجاهدة بالقتال، فإنه ليس للمصلّي في صلاته ولا للمتصدّق في صدقته ولا للورع في ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته على الحقّ.

قال دمنة:

- لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك، ولكن ذا الرّأي جاعل القتال آخر الحيل وبادئ قبل

ذلـك بما استطاع من رفق وتحمّل، وقد قيل: لا تحقرن العدو والضّعيف المهين ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان، فكيف بالأسد على جرأته وشدّته، فإنّ من حقّر عدوّه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطّيطوي.

قـــال شتربة:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل وكيل البحر والطيطوي

قـــال دمنة:

- زعموا أنّ طائرا من طيور البحر يقـــال له الطّيطوي كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له، فلما جاء أوان تفريخهما قـــالت الأنثى للذّكر:

- لو التمسنا مكانا حريزا نُفرّخ فيه فإني أخشى من وكيل البحر إذا مدّ الماء أن يذهب بفراخنا. فقـــال لها:

- أفرخي في مكانك فإنه موافق لنا والماء والزهر منّا قريب، قـــالت لـه:

- يا غافل ما أشد تعنّتك! أما تذكر وعيده وتهديده إيّاك؟، ألا تعرف نفسك وقدرك، فابى أن يُطيعها. فلما أكثرت عليـه

obeikandi.com

ولـم يسمع قولها قـــالت له:

- إن من لم يسمع قول النّاصح يصيبه ما أصاب السلّحفاة حين لم تسمع البطتين، قـــال الذّكر:

-وكيف كان ذلك؟.

مثل السلحفاة والبطتين

قـــالت الأنثى:

- زعموا أن غديرا كان عنـده عشب وكان فيـه بطّتـان، وكـان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطّتين مودة وصداقـة، فاتّـفق أن غيض ذلك الـمـاء. فجاءت البطّتان لـوداع السلحفاة وقـــالتا:

- السّلام عليك فإنّنا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه، فقـــالت:

- إنّما يبين نقصان الماء على مثلـي، فإنـي كانـي السفينـة لا أقدر على العيش إلاّ بالماء، فاما أنتما فتقدران على العيـش حيث كنتمـا، فـاذهبا بـي معكما.

فقـــالتا لـها:

- نـعـم.

قـــالت:

- كيف السّبيل إلى حملي ؟.

قـــالتا:

- ناخذ بطرفي عود وتقبضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجوّ، وإيّاك إذا سمعت الناس يتكلّمون أن تنطقي، ثم أخذتاها فطارتا بها في الجوّ. فقـــال النّاس:

- عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها! فلما سمعت ذلك قـــالت:

- فقا الله أعينكم أيّها الناس، فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت.

قـــال الذّكر:

- قد سمعت مقـــالتك فلا تخافي وكيل البحر.

فلما مدّ الماء ذهب بفراخهما، فقـــالت الأنثى:

- قد عرفت في بدء الأمر أنّ هذا كائن.

قـــال الذّكر:

- سوف أنتقم منه.

ثم مضى إلى جماعة الطير، فقـــال لهن:

- إنّكنّ أخواتي وثقاتي فاعنّني.

obeikandl.com

قـلـن:

- ماذا تريد أن نفعل؟.

قـــال:

- تجـتمعن وتـذهبن [هكـذا كتب جمع الطيور المؤنث بضمير النون (كنون النسوة) في النسخ المطبوعة المختلفة لكتاب كليلة ودمنة].

معي إلى سائر الطير فنشكو إليهـنّ مـا لقيت من وكيل البحر ونقول لهنّ إنّكن طير مثلنا فاعنّنا، فقــالت له جماعة الطير:

- إنّ العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر ونسالهـــا أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها... ثم إنّهنّ ذهبن إليها مع الطّيطوى فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فاخبرنها بقصّتهن وسالنهـا أن تصير معهنّ إلى محاربة وكيل البحر، فاجابتهنّ إلى ذلك.

فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه.

وإنّما حدثتـك بهـذا الحديـث لتعلـم أن القتال مـع الأسـد لا أراه لك رأيا.

قـــال شتربـة:

- فما أنا بمقاتل الأسد ولا ناصب له العداوة سرّا ولا علانية ولا متغيّر له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوّف فاغالبه.

فكره دمنة قوله وعلم أنّ الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتّهمه وأساء به الظنّ. فقـــال لشتربة:

- اذهب إلى الأسد فستعرف حين ينظر إليك ما يريد منك.

قـــال شتربة:

- وكيف أعرف ذلك؟ قـــال دمنة:

- سترى الأسد حين تدخل مقعيا على ذنبه رافعا صدره إليك مادّا بصره نحوك قد صرّ أذنيه وفغر فاه واستوى للوثبة.

قـــال شتربة:

- إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك.

ثم إنّ دمنة لما فرغ من تحميل الأسد على الثور والثور على الأسد توجه إلى كليلة، فلما التقيا، قـــال كليلة:

- إلام انتهى عملك الذي كنت فيه؟.

قـــال دمنة:

- قريب من الفراغ على ما أحبّ وتحبّ.

opeikandi.com

ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا قتال الأسـد والثـور وينظرا ما يجري بينهما ويعاينا ما يؤول إليه أمرهـما، وجـاء شتربة فدخل على الأسد فرآه مقعيا كما وصفه لـه دمـنة، فقـال:

- ما صاحب السلّطان إلا كصاحب الحيّـة التـي في صـدره لايدري متى تهيج عليه.

ثـم إنّ الأسـد نظـر إلـى الثّـور فـرأى الدّلالات التـي ذكـرها لـه دمنـة، فلم يشكّ أنه جاء لقتاله، فواثـبه ونشـات بينهـما الحـرب واشتـدّ قـتـال الثّـور والأسـد وطـال وسالـت بينهـما الدّمـاء.

فلمّا رأى كليلة أنّ الأسد قد بلغ منه ما بلغ، قــال لدمنة:

- إنّما السلّطان باصحابه والبحر بامواجـه، ومـا عظتـي وتاديبـي إيّاك إلا كما قــال الرّجل للطّائر:

- لا تلتمس تـقـويـم مـا لا يستقيـم ولا تعـالـج تاديب مالا يتادّب.

قــال دمنة:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل الرّجل والطائر

قــال كليلة:

- زعموا أنّ جماعة من القـردة كانـوا سكانـا في جبـل، فالتمسوا -في ليلة باردة ذات رياح وأمطار- نارا فلم يجدوا، فـرأوا يراعة تطير كانها شرارة نار فظنّوها نارا وجمعوا حطبا كثيرا فالقوه عليها، وجعلوا ينفخون طمعا في أن يوقدوا نارا يصطلون بها من البرد، وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون إليـه وينظر إليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول:

- لا تتعبوا فإنّ الذي رأيتموه ليس بنار!.

فلما طال عليه ذلك عزم على القرب منهم لينهاهم عمـا هـم فيه، فمرّ به رجل فعرف ما عزم عليه، فقــال له:

- لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، فإنّ الحجر المانع الذي لا ينقطع لا تُجرّب عليه السّيوف، والعود الذي لا ينحني لا تُعمل منه القوس فلا تتعب، فابى الطائر أن يطيعه، وتقدم إلـى القـردة ليعرّفهم أنّ اليراعة ليست بنار، فتناوله بعض القردة، فضرب بـه الأرض فمات. فهذا مثلك معي في ذلك، ثم قـد غلـب عليه الخبّ والفجور وهما خلتا سوء، والخبّ شرّهمـا عاقبـة، ولهـذا مثل.

قــال دمنة:

- وما ذلك المثل ؟.

مثل الخبّ والمغفل

قـــال كليلة:

- زعموا أن خبّا ومغفلا اشتركا في تجارة وسافرا، فبينما همـا في الطريق تخلّف المغفّل لبعض حاجته فوجد كيسا فيـه ألـف دينار فاخذه، فاحس به الخبّ فرجعـا إلـى بلدهمـا حتـى إذا دنـوا من المدينة قعدا لاقتسام المال، فقـــال المغفّل:

- خذ نصفه وأعطني نصفه، وكان الخبّ قد قرّر فـي نفسـه أن يذهب بالألف جميعها، فقـــال:

- لا نقتسم فإنّ الشركة والمفاوضة أقرب إلى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتاخذ مثلها وندفن الباقي فـي أصـل هذه الشجرة فهو مكان حريز، فإذا احتجنا جئنا أنا وأنـت فناخـذ حاجتنا منـه، ولا يعلم بموضعنا أحد.

فاخذا منه يسيرا ودفنا الباقي في أصل دوحة ودخلا البلد.

ثـم إنّ الخبّ خالف المغفـل إلى الدّنانيـر فاخـذهـا وسـوّى الأرض كما كانت، وجاء المغفل بعد ذلك باشهـر، فقـــال للخب:

- قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا ناخذ حاجتنا. فقام الخـبّ معه وذهبا إلى المكان فحفرا فلم يجدا شيئًا، فـاقـبل الخـب

على وجهه يلطمه ويقول:

- لا تغتر بصحبة صاحب، خالفتني إلى الدّنانير فاخذتها، فجعل المغفّل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخبّ إلاّ شدّة في اللّطم وقال:

- ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك؟.

ثم طال بينهما ذلك، فترافعا إلى القاضي فاقتصّ القاضي قصّتهما.

فادعى الخبّ أن المغفّل أخذها، وجحد المغفّل، فقال للخبّ:

- ألك على دعواك بيّنة؟.

قال:

- نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفّل أخذها، وكان الخبّ قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث إذا سئلت أجاب، فذهب أبو الخبّ فدخل جوف الشجرة، ثم أنّ القاضي لما سمع ذلك من الخبّ أكبره وانطلق هو وأصحابه والخبّ والمغفّل معه حتى وافى الشجرة فسالها عن الخبر، فقال الشيخ من جوفها:

- نعم المغفل أخذها، فلما سمع القاضي ذلك اشتدّ تعجبه فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فاضرمت حولها النيران، فاستغاث أبو الخبّ عند ذلك، فأُخرج وقد أشرف على الهلاك

فساله القاضي عن القصة فاخبره بالخبر فاوقع بالخبّ ضربا وبابيه صفعا وأركبه مشهورا وغرّم الخبّ الدّنانير فاخذها وأعطاها المغفّل.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخبّ والخديعة ربّما كان صاحبهما هو المغبون، وإنّك يا دمنة جامع للخب والخديعة والفجور، وإني أخشى عليك ثمرة عملك مع أنك لست بناج من العقوبة لأنك ذو لونين ولسانين، وإنّما عذوبة ماء الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار، وصلاح أهل البيت ما لم يكن فيهم المفسد، وإنه لا شيء أشبه بك من الحيّة ذات اللّسانين التي فيها السّم فإنه قد يجري من لسانك كسمّها، وإني لم أزل لذلك السّمّ من لسانك خائفا، ولما يحلّ بك متوقّعا والمفسد بين الإخوان والأصحاب كالحيّة التي يربيّها الرّجل ويُطعمها، ويمسحها ويكرمها ثم لا يكون له منها غير اللّدغ، وقد يقال:

- الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل إليهم وإيّاك مفارقتهم، وأصحب الصّاحب إذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم أوكريما غير عاقل، فالعاقل الكريم كامل، والعاقل غير الكريم اصحبه وإن كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء أخلاقه وانتفع بعقله، والكريم غير العاقل ألزمه ولا تدع مواصلته وإن كنت لا تحمد عقله، وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك، والفرار كلّ الفرار

من اللّئيم الأحمق، وإني بالفرار منك لجدير، وكيف يرجو إخوانك عندك كرما وودا، وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرّفك ما صنعت؟ وإنّ مثلك مثل التّاجر الذي قـــال:

- إنّ أرضا تاكل جرذانها مئة مَنٍّ حديدًا، ليس بمستنكر على بزاتها أن تختطف الفيلة؟.

قـــال دمنة:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الجرذان وتاجر الحديد

قـــال كليلة:

- زعموا أنه كان بارض كذا تاجر، فاراد الخروج إلـى بعض الوجوه لابتغاء الرزق، وكان عنده مئة منٍّ حديدا فاودعها رجلا من إخوانه وذهب في وجهه، ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد، فقـــال له:

- إنّه قد أكلته الجرذان، فقـــال:

- قد سمعت أنه لا شيء أقطع من أنيابها للحديد، ففرح الرّجل بتصديقه على ما قـــال وادعى.

ثم إنّ التاجر خرج فلقي ابنا للرّجل فاخذه وذهب به إلى

obeikandl.com

منزله، ثم رجع إليه الرّجل من الغد فقـــال له:

- هل عندك علم من ابني؟ فقـــال له التّاجر:

- إني لما خرجت من عندك بالأمس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك، فلطم الرّجل رأسه وقـــال:

- يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان؟، فقـــال:

- نعم وإنّ أرضا تاكل جرذانها مئة منٍّ حديدا ليس بعجب أن تختطف بُزاتُها الفيلة، قـــال له الرّجل:

- أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد عليّ ابني.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك إذا غدرت بصاحبك لاشكّ بمن سواه أغدر، وأنه إذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضع فلا شيء أضيع من مودة تُمنح من لا وفاء له، وحياء يُصطنـع عند مـن لا شكر له، وأدب يُحمل إلى من لا يتادّب به ولا يسمعه، وسرّ يستودع من لا يحفظه، فإنّ صُحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشرّ كالرّيح إذا مرّت بالطيّب حملت طيبا وإذا مرّت بالنّتن حملت نتنا، وقد طال وثقل كلامي عليك.

فانتهى كليلة من كلامه إلى هذا المكـان وقـد فـرغ الأسد مـن الثّور، ثم فكّر في قتله بعد أن قتله وذهب عنه الغضب،

openkandi.com

وقــال:

- لقد فجعني شتربة بنفسه وقد كان ذا عقل ورأي وخلـق كريم، ولا أدري لعلّه كان بريئًا أو مكذوبا عليه، فحزن ونـدم علـى ما كان منه، وتبيّن ذلك في وجهه وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدّم إلى الأسد، فقــال له:

- ليهنئك الظّفر، إذا أهلك الله أعداءك، فماذا يحزنك أيّهـا الملك؟.

قــال:

- أنا حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه.

قــال له دمنة:

- لا ترحمه أيّها الملك فإن العاقل لا يرحم من يخافه، وإنّ الرّجل الحازم ربما أبغض الرّجل وكرهه ثم قرّبه وأدناه لما يعلم عنده من الغَناء والكفاءة فِعلُ الرّجل المتكَاره على الدّواء الشنيع رجاء منفعته، وربّما أحبّ الرّجل وعزّ عليه فاقصاه وأهلكه مخافة ضرره كالذي تلدغه الحيّة في أصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسري سمّها إلى بدنه.

فرضي الأسد بقول دمنة، ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفُجوره فقتله شرّ قتلة.

باب

الفحص عن أمر دمنة

obeikandl.com

obeikandl.com

باب
الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد حدثتني عن الواشي الماهر المحتال كيف يُفسد بالنّميمة المودة الثابتة بين المتحابيّن، فحدّثني إن رأيت بما كان من حال دمنة وإلام آل مآله بعد قتل شتربة، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثّور، وأدخل النّميمة على دمنة وما كانت حجّته التي احتجّ بها.

قال الفيلسوف:

- إني وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شتربة ندم على قتله، وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته، وأنّه كان أكرم أصحابه عليه، وأخصّهم منزلة لديه، وأقربهم وأدناهم

obeikandl.com

إليه، وكان يواصل له المشورة دون خواصّه وكان من أخصّ أصحابه عنده بعد الثور النّمر، فاتّفق أنه أمسى النّمر ذات ليلة عند الأسد فخرج من عنده جوف الليّل يريد منزله، فاجتاز على منزل كليلة ودمنة، فلّما انتهى إلى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه، ويلومه في النّميمة واستعمالها مع الكذب والبهتان في حقّ الخاصّة، وعرف النمر عصيان دمنة وترك القبول له، فوقف يسمع ما يجري بينهما، فكان فيما قال كليلة لدمنة:

- لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها وخيمة، وسوف يكون مصرعك شديدا إذا انكشف للأسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك.

فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرّك وحذرا من غلوائك، فلست بمتّخذك بعد اليوم خليلا ولا مُفش لك سرا، لأنّ العلماء قد قالوا: تباعد عمن لا رغبة لك فيه، وأنا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص لي ممّا وقع في نفس الأسد من هذا الأمر.

فلما سمع النّمر هذا من كلامهما قفل راجعا فدخل على أم الأسد، فاخذ عليها العهود والمواثيق، أنها لا تفشي ما يسرّ

openkanali.com

إليها، فعاهدته على ذلك، فاخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة، فلما أصبحت دخلت على الأسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما، لـمـا ورد عليه من قتل شتربة، فقــالت لـه:

- ما هذا الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك ؟.

قـــال:

- يحزنني قتل شتربة إذا تذكرت صحبته ومواظبته معـي ومـا كنت أسمع من نصيحته وأسكن إليه في مشاورته وأقبـل من مُناصحته.

قـــالت أم الأسد:

- إنّ أشدّ ما شهد إمرؤ على نفسه، وهذا خطا عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم و لا يقين ؟ ولولا ما قالت العلماء، من إذاعة الأسرار وما فيها من الإثم لذكرت لك وأخبرتك بمـا علمت.

قـــال الأسد:

- إن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة، وإنـي لأعلم صواب ما تقولين وإن كان عندك رأي فلا تطويه عنـي، وإن كان قد أسرّ إليك أحد سرا فاخبريني به وأطلعيني عليه، وعلى جملة الأمر. فاخبرته بجميع ما ألقاه إليها النّمر من غيـر

أن تخبره باسمه وقـــالت:

- إني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها، وما يدخل على الرّجل من العار في إذاعة الأسرار، ولكني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك، وإن وصـل خطـؤه وضـرره إلـى العامّة فإصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشرّ عنهـم وبـه يحتجّ السّفهاء، ويُدخلون الشّبهة على أعمالهم القبيحة، وأشدّ معارِّهم إقدامهم على ذي الحزم. فلما قصّت أمّ الأسد هذا الكلام استدعى الأسد أصحابه وجنده فأُدخلوا عليه، فلـما وقف دمنة بين يدي الأسد ورأى ما هو عليه من الحزن والكآبـة، التفت إلى بعض الحاضرين فقـــال:

- ما الذي حدث وما الذي أحزن الملك؟ فالتفتت أم الأسد إليه وقـــالت له:

- أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين، ولن يدعك بعد اليـوم حيا.

قـــال دمنة:

- وما حدث من أمري حتى وجب به قتلي ؟.

قـــالـت:

- إنه قد بان للملك كذبك وفجورك وخديعتك في قتل الثّـور من غير ذنب كان منه، فلست حقيقا أن تُترك بالحيـاة طرفـة عيـن.

قـــال دمنة:

- ما ترك الأوّل للآخر شيئًا لأنه يقـــال:

- أشدّ الناس في توقّي الشرّ، يصيبه الشرّ قبل المستسلم له، فلا يكوننّ الملك وخاصّته وجنوده المثل السّوء، وقد قيل من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه، ولذلك انقطعت النسّاك بانفسها عن الخلق، واختارت الوحدة على المخالطة، وحبّ العمل لله على حبّ الدّنيا وأهلها، ومن يجزي بالخير خيرا وبالإحسان إحسانا إلاّ الله؟، ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان، إذ يُخطئ الصواب في خلوص العمل لغير الله، وطلب الجزاء من النّاس. وإنّ أحقّ ما رغبت فيه رعيّة الملك هو محاسن الأخلاق، ومواقع الصّواب، وجميل السّير، وقد قـــالت العلماء:

- من صدّق ما ينبغي أن يكذّب وكذّب ما ينبغي أن يصدّق، أصابه ما أصاب المرأة التي بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها بالتلبّس عليها.

قـــال الأسد:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل المرأة والمصور والعبد والأَمَةُ

قـــال دمنة:

- زعموا أنه في بعض المدن تاجر وكانت له امرأة ذات حسن وجمال، وكان إلى جنب التاجر رجل مصّور ماهر، وكان هو لامرأة التاجر خليلا.

فقـــالت له يوما:

- إن استطعت أن تحتال بحيلة أعلم بها مجيئك من غيـر نـداء ولا إيماء ولا ما يرتاب به من فعلك وفعلي. فقـــال المصور:

- عندي من الحيلة ما سالت مما يسّرك ويقرّ عينك، إنّ عندي ملاءة فيها من تهاويل الصّور وتماثيل الصّنعة فإني ألبسها حين مجيئي إليك، وأتراءى لك فيها. ثم إنّ المصوّر لبس الملاءة وتراءى للمرأة فعلمت بمكانه فخرجت إليه وفرحت به، وتهيات له، فبصر بها في تلك الحالة عبد للمرأة فعجب من ذلك وتحيّر، وكان هذا العبد لأَمَةِ المصوّر خليلا فطلب الملاءة منها وسالها ذلك وقـــال:

- أريد أن أريها لصديق لي لأسرّه بذلك، وأسرع الكرّة بردها قبل أن يعلم به مولاك، فاعطته أَمَةُ المصوّر الملاءة فلبسها العبد وأتى سيدته على نحو ما كان ياتيها المصور، فلما رأته لم تشك

في مجيئه ولم ترتب به أنه خليلها، فاتت إليه وبذلت له نفسها، ثم رجع بالملاءة إلى أَمَةِ المصور فدفعها إليها فوضعتها موضعها، وكان المصور عن بيته غائبا، فلما جنّ الليل عاد إلى منزله فلبس الملاءة على عادته وتراءى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت إليه وقالت:

- لقد أسرعت الكرة ألم تكن عندي فلماذا العود؟ فلما سمع المصوّر كلامها رجع إلى منزله فدعا جاريته فاوعدها بالقتل أو تخبره بالحقيقة فاخبرته بالقصّة فاخذ الملاءة فاحرقها.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل إرادة أن لا يعجلّ الملك في أمري بشبهة، ولست أقول هذا كراهة للموت، فإنه وإن كان كريها فلا منجى منه وكلّ حيّ هالك، ولو كان لي مئة نفس وأعلم أن هوى الملك في إتلافهنّ طبت له بذلك نفسا، فقال بعض الجند:

- لم ينطق بهذا لحبّه للملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها، فقال له دمنة:

- ويلك! وهل عليّ التماس العذر لنفسي عيب؟ وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه، وإذا لم يلتمس لها العذر فمن يلتمسه لها؟ لقد ظهر منك ما لم تكن تمتلك كتمانه من الحسد

والبغضاء، ولقد عرف من سمع منك أنك لا تحبّ لأحد خيرا وأنك عدو نفسك فمن سواها بالأولى، فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه.

فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحييا، فقالت أم الأسد لدمنة:

- لقد عجبت منك أيّها المحتال في قلة حيائك وكثرة قحتك وسرعة جوابك لمن كلّمك!، قال دمنة:

- لأنّك تنظرين إليّ بعين واحدة وتسمعين باذن واحدة مع أنّ شقاوة جدّي قد زوت عنّي كل شيء حتى لقد سعوا إلى الملك بالنّميمة عليّ.

وإني أرى كلّ شيء قد تنكر حتى صار الناس لا ينطقون بالحقّ، وصار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته إيّاهم وما هم فيه من العيش والنّعمة لا يدرون في أي وقت ينبغي لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السّكوت.

قالت:

- ألا تنظرون إلى هذا الشقيّ مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئًا كمن لا ذنب له؟.

قال دمنة:

- إن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء، كالذي

obeikandi.com

يضع الرّماد موضعا ينبغي أن يضع فيه الرّمل ويستعمل فيه السرّجين، والرّجل الذي يلبس لباس المرأة، والمرأة التي تلبس لباس الرّجل، والضّيف الذي يقول أنا ربّ البيت، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسال عنه، وإنّما الشقي من لا يعرف الأمور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشرّ عن نفسه ولا يستطيع ذلك.

قالت أم الأسد:

- أتظنّ أيّها الغادر المحتال بقولك هذا أنّك تخدع الملك ولا يسجنك؟.

قال دمنة:

- الغادر هو الذي لا يامن عدوّه مكره، وإذا استمكن من عدوّه قتله على غير ذنب.

قالت أم الأسد:

- أيّها الغادر الكذوب أتظنّ أنك ناج من عاقبة كذبك وإن محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك ؟.

قال دمنة:

الكذوب هو الذي يقول ما لم يكن وياتي بما لم يقل ولم يفعل، وكلامي حقّ مبين.

قـــالت أم الأسد:

العلماء منكم من قضى حاجته فيه، ثم نهضت فخرجت، فدفع الأسد دمنة إلى القاضي فامر القاضي بحبسه فالقي فـي عنقه غلاّ وانطلق به إلى السّجن.

فلما انتصف الليل أُخبر كليلة أنّ دمنة في الحبس فاتاه مستخفيا، فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى وقـــال لـه:

- ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلاّ لاستعمالك الخديعة والمكر وإضرابك عن العظة، ولكن لم يكن لي بدّ فيما مضى من إنذارك، والنصيحة لك، والمسارعة إليك في خلوص الرّغبة فيك، فإنه لكلّ مقام مقـال، ولكلّ موضع مجال، ولو كنت قصّرت في عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك، غير أنّ العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك، وغلب على عقلك، وكنت أضرب لك الأمثال كثيرا، وأذكّرك قول العلماء، وقد قـالت العلماء: إنّ المحتال يموت قبل أجله.

قـــال دمنة:

- قد عرفت صدق مقـــالك، وقد قـــالت العلماء: لا تجـزع مـن العذاب إذا وقعت منك خطيئة، ولأنّ تعذّب في الدّنيـا بجرمك خير من أن تعذّب في الآخرة بجهنم مع الإثم.

obeikandl.com

قـــال كليلة:

- قد فهمت كلامك ولكنّ ذنبك عظيم وعقاب الأسد شديد أليم.

وكـان بقربهمـا فـي السجـن فهد معتقل يسمـع كلامهما ولا يريانه، فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كـان منه، وأنّ دمنة مقرّ بسوء عمله، وعظيم ذنبه، فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها إن سئل عنها. ثم إنّ كليلة انصرف إلى منزله.

ودخلت أم الأسد حين أصبحت على الأسد فقـــالت له:

- يا سيّد الوحوش حوشيت أن تنسى ما قلت بالأمس، وأنّك أمرت به لوقته وأرضيت به ربّ العباد، وقد قـــالت العلماء:

- لا ينبغي للإنسان أن يتوانى في الجدّ للتّقوى، بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم.

فلما سمع الأسد كلام أمّه أمر أن يحضر النّمر وهو صاحب القضاء، فلما حضر قـــال له وللجوّاس العادل:

- اجلسا في موضع الحكم ونـاديا في الجند صغيـرهـم وكبيرهم أن يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عـن شانـه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره في كتب القضاء، وارفعـا إليّ ذلك يوما فيوما.

فلما سمع النّمر ذلك والجوّاس العادل، وكان هذا الجـوّاس عمّ الأسد، قـــالا:

- سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى إذا مضى من اليوم الذي جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضي أن يؤتى بدمنة فأُتي به، فوقف بين يديه والجماعة حضور.

فلما استقرّ به المكان نادى سيّد الجمع باعلى صوته:

- أيّها الجمع إنّكم علمتم أنّ سيّد السّباع لم يزل منذ قتل شتربة خاثر النّفس كثير الهمّ والحزن يرى أنه قد قتل شتربة بغير ذنب وأنه أخذه بكذب دمنة ونميمته، وهذا القاضي قد أُمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شان دمنة، فمن علم منكم شيئًا في أمر دمنة من خير أو شرّ فليقل ذلك، وليتكلم به على رؤوس الجمع والأشهاد، ليكون القضاء في أمره بحسب ذلك، فإذا استوجب القتل فالتثبّت في أمره أولى، والعجلة من الهوى، ومتابعة الأصحاب على الباطل ذلّ. فعندها قـــال القاضي:

- أيّها الجمع اسمعوا قول سيّدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره، واحذروا في السّتر عليه ثلاث خصال: أما إحداهن وهي أفضلهن فلا تزدروا فعله ولا تعدّوه يسيرا، فمن أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة، ومن علم من أمر

هذا الكذّاب الذي اتّهم البريء بكذبه ونميمته شيئًا فستر عليه فهو شريكه في الإثم والعقوبة، والثانية: إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له، والأحرى بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا، والثالثة: ترك مراعاة أهل الذّم والفجور، وقطع أسباب صلاتهم ومودتهم على الخاصّة والعامّة، فمن علم من هذا المحتال شيئًا فليتكلم به على رؤوس الأشهاد ممّن حضر، ليكون ذلك حجّة عليه، وقد قيل: إنه من كتم شهادة ميّت أُلجم بلجام من نار يوم القيامة، فليقل كل واحد منكم ما علم.

فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول، فقال دمنة:

- ما يُسكتكم؟ تكلّموا بما علمتم واعلموا أن لكلّ كلمة جوابا، وقد قالت العلماء: من يشهد بما لم ير ويقل ما لم يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إنّي أعلمه.

قالت الجماعة:

- وكيف كان ذلك ؟.

openkandil.com

مثل الطبيب والجاهل

قـــال دمنة:

- زعموا أنّه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم، وكان ذا فطنة فيما يجري على يده من المعالجات، فكبر ذلك الطبيب وضعُف بصره، وكان لملك المدينة إبنة قد زوّجها لابن أخ لـه فعرض لها ما يعرض للحوامل من الأوجاع فجيء بهذا الطبيب، فلما حضر سال الجارية عن وجعها وما تجد فاخبرته، فعرف داءها ودواءها وقـــال:

- لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط على معرفتـي باجناسهـا ولا أثق في ذلك باحد غيري. وكان في المدينة رجل جاهل فبلغه الخبر فاتاهم وادعى علم الطّبّ وأعلمهم أنه خبير بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير وعارف بطبائع الأدوية المركّبة والمفردة، فامر الملك أن يدخل خزانة الأدوية فياخذ من أخلاط الدواء حاجته، فلما دخل الجاهل الخزانة وعُرضت عليه الأدوية ولا يدري ما هي ولا له بها معرفة أخذ في جملة ما أخذ منها صُرّة فيها سمّ قاتل لوقته وخلطه بالأدوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه، فلما تمت أخلاط الأدوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها، فلما عرف الملك ذلك دعا بالجاهل فسقاه من ذلك الدّواء فمات من ساعته.

Obeikandi.com

• وإنّما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الذلّة بالشبهة في الخروج عن الحدّ، فمن منكم عن حدّه أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة، وقد قالت العلماء ربّما جُزي المتكلّم بقوله، والكلام بين أيديكم فانظروا لأنفسكم.

فتكلّم سيّد الخنازير لدلاله وتيهه بمنزلته عند الأسد، فقال:

- يا أهل الشرّف من العلماء اسمعوا مقالتي وعوا باحلامكم كلامي، فالعلماء قالوا في شان الصالحين إنهم يعرفون بسيماهم، وأنتم معاشر ذوي الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته عليكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشيء الكبير بالشيء الصغير، وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقيّ دمنة وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا إلى ذلك.

قال القاضي لسيّد الخنازير:

- قد علمت وعلمَ الجماعة الحاضرون أنك عارف بما في الصور من علامات السوء، ففسر لنا ما تقول واطلعنا على ما ترى في صورة هذا الشقي. فاخذ سيد الخنازير يذم دمنة قال:

- إن العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه اليسرى

أصغر من عينه اليمنى وهي لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا إلــى جنبه الأيمن، فهو شقي خبيث جامع للخب والفجور.

فلما سمع دمنة ذلك قـــال:

- ما مثلك إلا مثل رجل قـــال لامرأته: أنظري إلى عُريك وبعد ذلك أنظري إلى عري غيرك، قيل له:

- كيف كان ذلك؟

مثل الرّجل وامرأته

قـــال دمنة:

- زعموا أن مدينة أغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق إلى بلاده، فاتفق أنه كان مع جندي مما وقع في قسمته رجل حرّاث ومعه امرأتان له، وكان هذا الجندي يسيء إليهم في الطعام واللباس، فذهب الحرّاث ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون للجندي وهم عراة، فاصابت إحدى المرأتين في طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها ثم قـــالت لزوجها مشيرة إلى ضرّتها:

- ألا تنظر إلى هذه القبيحة كيف لا تستحيي وتستر عورتها؟.

قـــال لها زوجها:

- لو بدأت بالنّظر إلى نفسك وأن جسمك كلّه عار لما عيّرت

صاحبتك بما هو بعينه فيك.

وشانك عجب أيّها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة، ثم العجب من جرأتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح، وما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك، أفتتكلم في النقيّ الجسم الذي لا عيب فيه؟، ولست أنا وحدي أطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك، وقد كان يحجزني عن إظهاره ما بيني وبينك من الصداقة، فامّا إذا قد كذبت عليّ وبهتّني في وجهي وقمت بعداوتي فقلت ما قلت فيّ بغير علم وعلى رؤوس الحاضرين فإني اقتصر على إظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة، وحقّ على من عرفك حق معرفتك أن يمنع الملك من استعماله إيّاك على طعامه، فلو كلّفت أن تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها، فالأحرى بك أن لا تدنو إلى عمل من الأعمال وأن لا تكون دبّاغا ولا حجّاما لعاميٍّ فضلا عن خاصة خدمة الملك.

قال سيّد الخنازير:

- أوَ لِي تقول هذه المقالة وتلقاني بهذا الملقى؟!.

قال دمنة:

- نعم وحقا قلت فيك وإيّاك أعني أيها الأعرج المكسور الذي في وركه النّاسور الأفدع، الرّجل المنفوخ البطن، المدلّى

الخصيتين، الأفلج الشّفتين السيئ المنظر والمخبر.

فلما قــال دمنة ذلك تغير وجه سيّد الخنازير واستعبروا واستحى وتلجلج لسانه واستكان وفتر نشاطه، فقــال دمنة حين رأى انكساره وبُكاءه:

- إنّما ينبغي أن يطول بكاؤك إذا اطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين خدمته وأبعدك عن حضرته.

ثم إن (شعهرا) كان الأسد قد جرّبه فوجد فيه أمانــة وصدقـا فرتّبه في خدمته وأمره أن يحفظ ما يجري بينهم ويُطلعه عليه، فقام الشعهر فدخل على الأسد فحدّثه بالحديث كلّه على جليّته، فامر الأسد بعزل سيّد الخنازير عن عملـه وأمـر أن لا يدخل عليه ولا يرى وجهه، وأمر بدمنة أن يُردّ إلى السّجن وقد مضى من النهار أكثره، وجميع ما جرى وقــالوا وقــال قد كتب وخُتم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم إلى منزله.

ثم إنّ (شعهرا) ويقــال له روزبة كان بينه وبين كليلة إخاء ومودّة وكان عند الأسد وجيها وعليه كريما، واتّفق أنّ كليلة أخذه الوجد اشفاقا وحذرا على نفسه وأخيه فمرض ومات، فانطلق هذا الشعهر إلى دمنة فاخبره بموت كليلة فبكى وحزن

وقـــال:

- ما أصنع بالدّنيا بعد مفارقة الأخ الصّفيّ؟ ولكن أحمد الله تعالى إذ لم يمت كليلة حتى أبقى لي من ذوي قرابتي أخـا مثلك، فإني قد وثقت بنعمة الله وإحسانه إليّ فيما رأيت مـن اهتمامك ومراعاتك لي، وقد علمت أنك رجائي وركني فيمـا أنـا فيه، فاريد من إنعامك أن تنطلق إلى مكان كذا فتنظر إلـى مـا جمعته أنا وأخي بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتاتيني بـه.

ففعل الشعهر ما أمره به دمنة، فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقـــال له:

- إنك على الدخول والخروج على الأسد أقدر من غيرك، فتفرغ لشاني وأصرف اهتمامك إليّ واسمع ما أُذكر به عند الأسد إذا رُفع إليه ما يجري بيني وبين الخصوم، وما يبدو من أم الأسد في حقّي وما ترى من متابعة الأسد لها ومخالفته إياها في أمري واحفظ ذلك كلّه.

فاخذ الشعهر ما أعطاه دمنة وانصرف عنه على هذا العهد، فانطلق إلى منزله فوضع المال فيه.

ثم إن الأسد بكّر من الغد فجلس حتى إذا مضى من النّهار ساعتان استاذن عليه أصحابه في الدّخول فاذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه، فلما عرف قولهم وقول دمنة

دعا بامه فقرأ عليها ذلك، فلما سمعت ما في الكتاب نادت باعلـى صوتها: إن أنا أغلظت في القول فلا تلمني، فإنك لست تعـرف ضرّك من نفعك، أليس هذا ممّا كنت أنهاك عن سماعه لأنـه كلام هذا المجرم المسيء إلينا الغادر بذمتنا، ثم إنها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذي آخاه دمنة وبسمعه، فخرج في إثرها مسرعا حتى أتى دمنة فحدثّه بالحديث، فبينما هـو عنده إذ جاء فيج الأسد فانطلق بدمنة إلى الجمع عند القاضي.

فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال:

- يا دمنة قد أنباني عن خبرك الأمين الصّادق، وليس ينبغي لنا أن نفحص عن شانك أكثر من هذا، لأنّ العلماء قـالوا:

- إنّ الله تعالى جعل الدّنيا سببا للآخرة ومصداقا لها، لأنها دار الرّسل والأنبياء الدالين على الخير، الهادين إلى الجنّة الدّاعين إلى معرفة الله تعالى، وقد ثبت شانك عندنا وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله، إلاّ أنّ سيّدنا أمرنا بالعود إلى أمرك والفحص عن شانك وإن كان عنده ظاهرا بيّنا.

قـال دمنة:

- أراك أيّها القاضي لم تتعوّد العدل في القضاء، وليس في عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له إلى قاض غير عادل، بل المخاصمة لهم والذّود عن حقوقهم، فكيف ترى أن أقتل

ولـم أخاصم وتُعجلّ ذلك موافقة لهواك ولم تمض بعد ثلاثة أيام!، ولكن صدق الذي قـــال: إنّ الذي تعوّد عمل البرّ هيّن عليه عمله، وإن أضرّ به.

قـــال القاضي:

- إنّا نجد في كتب الأولين أنّ القاضي العدل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن والمسيء، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فلما ذهب إلى هذا ازداد المحسنون حرصا على الإحسان والمسيئون اجتنابا للذّنوب، والرأي لك يا دمنة أن تنظر الذي وقعت فيه وتعترف بذنبك، وتقرّ به وتتوب.

فاجابه دمنة:

- إنّ صالحي القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به في الخاصّة ولا في العامّة لعلمهم أنّ الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئًا، وأنتم ظننتم أني مجرم فيما فعلت، فإني أعلم بنفسي منكم وعلمي بنفسي يقين لا شك فيه، وعلمكم بي غاية الشّكّ، وإنّما قبح أمري عندكم أني سعيت بغيري، فما عذري عندكم إذا سعيت بنفسي كاذبا عليها، فاسلمتها إلى القتل والعطب، على معرفة مني ببراءتي وسلامتي ممّا قرفت به؟ ونفسي أعظم الأنفس عليّ حرمة وأوجبها حقا، فلو فعلت هذا باقصاكم وأدناكم لما وسعني في ديـنـي، ولا حسن بـي فـي مروءتـي،

ولا حق لي أن أفعله، فكيف أفعله بنفسي؟.

فاكفف أيّها القاضي عن هذه المقــالة، فإنها إن كانت نصيحة فقد أخطات موضعها، وإن كانت خديعـة، فـإنّ أقـبح الخـداع، ما نظرته وعرفته من غير أهله، مع أنّ الخداع والمكر ليسا من أعمال صالحي القضاة، ولا ثقات الولاّة، وأعلم أن قولك مما يتخذه الجهّال والأشرار سنّة، يقتدون بها، لأن أمور القضاء ياخـذ بصوابها أهل الصّواب، وبخطئها أهل الخطإ والباطل، والقليلـو الورع، وأنا خائف عليك أيها القاضي من مقــالتك هـذه أعظم الرزايا والبلايا، وليس من البلاء والمصيبة أنّـك لـم تزل فـي نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا في رأيك مقنعـا فـي عدلك مرضيا في حكمك وعفافـك وفضلك، وإنّـمـا البلاء كيـف أنسيت ذلك فـي أمري، أو ما بلغك عن العلماء أنهم قــالوا:

- من ادّعى علم ما لا يعلم وشهد على الغيب أصابـه مـا أصاب البازيار، القاذف زوجة مولاه.

قــال القاضي:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل البـازيـار

قـــال دمنة:

- زعموا أنه كان في بعض المدن رجل من المرازبة مذكور، وكان له امرأة ذات جمال وعفاف، وكان الرّجل بازيار ماهرا خبيرا بعلاج البزاة وسياستها، وكان هذا البازيار عند هذا الرّجل بمكان خليل، بحيث أدخله داره وأجلسه مع أهله، فاتّفق أن البازيار راود زوجة مولاه عن نفسها فابت عليه، وتسخّطت لذلك وتمعّر وجهها واحمرت خجلا وزاد امتناعها عليه وحرص عليها كل الحرص وعمل الحيلة في بلوغ غرضه منها، وضاقت عليه أبواب الحيل.

فخرج يوما إلى الصيد على عادته فاصاب فرخي ببغاء فاخذهما وجاء بهما إلى منزله، فلما كبرا فرّق بينهما وجعلهما في قفصين، وعلّم أحدهما أن يقول:

- رأيت من مولاتي ما يُخلّ بالعفاف، وعلّم الآخر أن يقول:

- أما أنا فلا أقول شيئًا. ثم أدّبهما على ذلك حتى أتقناه وحذقاه في ستة أشهر، فلما بلغ الذي أراد منهما حملهما إلـى أستاذه، فلما رآهما أعجباه ونطقا بين يديه فاطرباه، إلاّ أنّه لـم يعلم ما يقولان لأن البازيار كان قد علمهما بلغة البلخيّين، وان المرزبان أعجب منهما إعجابا شديدا وحظي البازيار عنـده بـذلك

حظوة كريمة، فامر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك.

فاتفق أنه بعد مدة قدم على الرّجل قوم من عظماء بلخ، فتانّق لهم في الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتّحف شيئًا كثيرا وحضر القوم، فما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار المرزبان إلى البازيار أن ياتي بالبّبغاءين فاحضرهما، فلما وُضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا عُلِّمَتَاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا، فنظر بعضهم إلى بعض، ونكسوا رؤوسهم حياء وخجلا، فسالهم الرّجل عما تقولان، فامتنعوا أن يقولوا ما قــالتا، فالحّ عليهم، وأكثر السؤال عمّا قالتا، فقالوا:

- إنّما تقولان كذا وكذا، وليس من شاننا أن ناكل من بيت يعمل فيه الفجور.

فلما قالوا ذلك سالهم الرّجل أن يكلّموها بلسان البلخيّة بغير ما نطقتا به، ففعلوا ذلك، فلم يجدوهما تعرفان غير مـا تكلمتا به، وبان لهم وللجماعة حصانة المرأة وبراءتها مما رميت به، ووضح كذب البازيار. فامر بالبازيار أن يدخل عليه، وكان على يديه باز أشهب. فصاحت به إمرأة المرزبان من داخل البيت:

- أيّها العدو لنفسه، أنت رأيتني على ما ذكرت، وعلّمت بــه البّبغاءين ؟.

قــال:

- نعم، أنا رأيتك على مثل ما تقولان، فوثب البازي إلـى وجهه ففقا عينه بمخالبه، فقــالت المرأة:

- بحق أصابك هذا، إنّه لجزاء من الله تعالى لشهادتك بمـا لـم تره عينُك.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل أيّها القاضي لتزداد علما بوخامــة عاقبة الشهادة بالكذب في الدّنيا والآخرة، فلما سمع القاضي ذلـك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد علـى وجهه، فنظر فيـه الأسد ثم دعا أمه فعرضه عليها، فقــالت حين تدبّرت كلام دمنة للأســد:

- لقد صار اهتمامي بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكْره ودهائه حتى يقتلك، أو يفسد عليك أمرك، أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه إليك في الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب. فوقع قولها في نفسه فقــال لها:

- أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك فيكون حجة لي في قتل دمنة، فقــالت:

- لأكره أن أفشي سر من استكتمنيه، فلا يهنئني سروري بقتل دمنة إذا تذكرت أني استظهرت عليه بركوب ما نهـت عـنه العلماء من كشف السرّ، ولكني أطالـب الـذي استودعـنـيـه

أن يحلّني من ذكره لك ويقوم هو بعلمه وما سمع منه، ثـم انصرفت وأرسلت إلى النمر، وذكرت له ما يحقّ عليه من التزيين للأسد، وحسن معاونته على الحقّ، وإخراج نفسه مـن الشهـادة التـي لا يكتمها مثله، مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحقّ في الحياة والممات، فإن العلماء قد قالت:

- من كتم حجّة ميّت أخطا حجته يوم القيامة، فلم تزل بـه حتى قام فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة.

فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد فقال:

- إن عندي شهادة، فاخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من إقراره، فقال لهما الأسد:

- ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة؟، فقال كل واحد منهما:

- قد علمت أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهت التعرض لغير ما يمضي به الحكم، حتى إذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته. فقبل الأسد قولهما، وأمر بدمنة أن يقتل في حبسه، فقتل أبشع قتلة.

فمن نظر في هذا فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضرّ غيره بالخلابة والمكر فإنه سيُجزى على خلابته ومكره.

باب
الحمامة المطوّقة

books4arab.com

obeikandl.com

باب

الحمامة المطوّقة

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت مثل المتحابيّن كيف قطع بينهما الكذوب وإلى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك، فحدّثني إن رأيت عن إخوان الصّفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض.

قـــال الفيلسوف:

- إنّ العاقل لا يعدل بالإخوان شيئًا، فالإخوان هم الأعوان على الخير كله والمؤاسون عندما ينوب من المكروه، ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوّقة والجرذ والظبي والغراب.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

obeikandl.com

مثل الحمامة المطوقة
والجرذ والظبي والغراب

قـــال بيدبا:

- زعموا أنه بارض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيّد ينتابه الصيّادون، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان، ملتفّة الورق، فيها وكر غراب، فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصُر بصيّاد قبيح المنظر، سيء الخلق، على عاتقه شبكة، وفي يده عصا، مقبلا نحو الشجرة، فذعر منه الغراب وقال:

- لقد ساق هذا الرّجل إلى هذا المكان إما حيني وإمّا حين غيري، فلأثبُتنّ مكاني حتى أنظر ماذا يصنع.

ثم إنّ الصيّاد نصب شبكته ونشر عليها الحبّ وكان قريبا منها، فلم يلبث إلاّ قليلا حتى مرّت به حمامة: يقال لها المطوّقة، وكانت سيدة الحمام، ومعها حمام كثير، فعميت هي وصاحباتها عن الشّرك، فوقعن في الحبّ يلتقطنه، فعلقن في الشبكة كلّهن، وأقبل الصيّاد فرحا مسرورا، فجعلت كلّ حمامة تتلجلج في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها.

قـــالت المطوّقة:

- لا تتخاذلن في المعالجة، و لا تكن نفس إحداكن أهـم إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد، فينجو بعضنا ببعض.

فجمعن أنفسهنّ ووثبن وثبة واحدة، فقلعن الشبكة جميعهنّ بتعاونهنّ، وعلون بها في الجوّ، ولم يقطع الصيّاد رجاءه منهنّ، وظنّ أنهنّ لا يجاوزن إلاّ قريبا، ويقعن، فقال الغراب:

- لأتبعهنّ وأنظر ما يكون منهنّ، فالتفتت المطوّقة فرأت الصيّاد يتبعهنّ، فقالت للحمام:

- هذا الصيّاد مجدّ في طلبكن، فإن نحن أخذنا في الفضاء لـم يخف عليه أمرنا، ولم يزل يتبعنا، وإن نحن توجّهنا إلـى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف، وبمكان كذا جرذ هولـي أخ فلو انتهينا إليه قطع عنّا هذا الشرك، ففعلن ذلك، وأيس الصيّاد منهنّ وانصرف، وتبعهنّ الغراب، فلمّا انتهت الحمامة المطوّقة إلى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن فوقعن.

وكان للجرذ مئة جُحر أعدّها للمخاوف، فنادته المطوّقة باسمه وكان اسمه زيرك فاجابها الجرذ من جحره:

- من أنت؟

قـــالت:

- أنا خليلتك المطوقة، فاقبل إليها الجرذ يسعى، فقـــال لها:

- ما أوقعك في هذه الورطة؟

قـــالت لـه:

- ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي أوقعتني في هذه الورطة، فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني، وأعظم أمرا، وقد تنكشف الشمس وينخسف القمر إذا قُضي ذلك عليهما.

ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوّقة فقـــالت له المطوّقة:

- ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي. فاعادت عليه ذلك مرارا وهو لا يلتفت إلى قولها، فلمّا أكثرت عليه القول وكرّرت قـــال لها:

- لقد كرّرت القول عليّ كانّك ليس لك في نفسك حاجـة، ولا لك عليها شفقة، ولا ترعين لها حقا.

قـــالت:

- إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تملّ وتكسل عن قطع ما بقي، وعرفت أنّك إن بدأت بهنّ قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض، وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشّرك.

obeikandl.com

قـــال الجرذ:

- هذا مماّ يزيد الرّغبة فيك والموّدة لك، ثم إنّ الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها، فانطلقت المطوّقة وحمامها معها.

فلما رأى الغراب صُنع الجرذ رغب في مصادقته فجاءه وناداه باسمه، فاخرج الجرذ رأسه، فقـــال له:

- ما حاجتك؟

قـــال:

- إنّي أريد مصادقتك.

قـــال الجرذ:

- ليس بيني وبينك تواصل وإنّما العاقل ينبغي له أن يلتمس ما يجد إليه سبيلا، ويترك التماس ما ليس إليه سبيل. فما أنت إلاّ آكل وأنا طعام لك.

قـــال الغراب:

- إنّ أكلي إيّاك وإن كنت لي طعاما مما لا يُغني عني شيئًا، وإنّ مودّتك آنس لي مماّ ذكرت، ولست بحقيق إذا جئت أطلب مودّتك أن تردّني خائبا، فإنه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما رغّبني فيك، وإن لم تكن تلتمس إظهار ذلك، فـإنّ العاقـل

obeikandl.com

لايخفي فضله وان هو أخفاه كالمسك الذي يُكتم ثم لايمنعه ذلك من النشر الطيّب، والأرج الفائح.

قـــال الجرذ:

- إن أشدّ العداوة عداوة الجوهر، وهي عداوتان: منها ما هـو متكافئ كعداوة الفيل والأسد، فإنه ربما قتل الأسد الفيل أو الفيل الأسد، ومنها ما قوّته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة مـا بيني وبين السّنور وبينك وبيني، فإن العداوة التي بيننا ليست تضرّك وإنّما ضررها عائد عليّ، فإنّ الماء لو أطيل إسخانه لـم يمنعه ذلك من إطفائه النّار إذا صبّ عليها، وإنّما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحيّة يحملها في كمّه، والعاقل لا يستانس إلى العدو الأريب.

قـــال الغراب:

- قد فهمت ما تقول وأنت خليق أن تاخذ بفضل خليقتك، وتعرف صدق مقـــالي، ولا تصعّب عليّ الأمر بقولك ليس إلـى التواصل بيننا سبيل، فإن العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء، والمودّة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب، بطيء الانكسار سريع الإعادة، هيّن الإصلاح، إن أصابه ثلم أو كسر، والمودّة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، ومثل ذلك مثل الكوز من الفخّار،

سريع الانكسار، ينكسر من أدنى شيء، ولا وصل له أبدا، والكريم يود الكريم واللّئيم، لا يود أحدا عن رغبة أو رهبـة، وأنــا إلى ودّك ومعروفك محتاج لأنّك كريم، وأنا ملازم لبابك، غير ذائق طعاما حتى تؤاخيني.

قـــال الجرذ:

- قد قبلت إخاءك، فإني لم أردُد أحدا عن حاجة قطّ، وإنّما بلوتك بما بلوتك به إرادة التوثق لنفسي فإن أنت غدرت بي لـم تقل إني وجدت الجرذ سريع الانخداع.

ثم خرج من جحره فوقف عند الباب، فقـــال له الغراب:

- ما يمنعك من الخروج إليّ والاستئناس بي؟ أوَ في نفسك بعدُ مني ريبة؟.

قـــال الجرذ:

- إنّ أهل الدّنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما، وهما ذات النفس وذات اليد، فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء، وأمّا المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض، ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدّنيا فإنّما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصيّاد وإلقائه الحبّ للطير، لا يريد بذلك نفع الطير، وإنّما يريد نفع

obeikandi.com

نفسه، فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد، وإني واثق منك بذات نفسك، ومنحتك من نفسي مثل ذلك، وليس يمنعني من الخروج إليك سوء ظنّ بك، ولكن قد عرفت أنّ لك أصحابا جوهرهم كجوهرك، وليس رأيهم فيّ كرأيك.

قـــال الغراب:

- إنّ من علامة الصّديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا ولعدوّ صديقه عدوا، وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبّا، وإنه يهون عليّ قطيعة من كان كذلك من جوهري.

ثمّ إنّ الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وتصافيا، وأنس كلّ واحد منهما بصاحبه، حتى إذا مضت لهما أيام، قـــال الغراب للجرذ:

- إن جحرك قريب من طريق الناس وأخاف أن يرميك بعض الصّبيان بحجر، ولي مكان في عزلة ولي فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السّمك، ونحن واجدون هناك مـا ناكل فاريد أن انطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين.

قـــال الجرذ:

- إن لي أخبارا وقصصا ساقصّها عليك إذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء، فاخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ حيث أراد، فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصرت

السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه، ولم تعلم انه صاحبها، فناداها فخرجت إليه وسالته:

- من أين أقبلت ؟، فاخبرها بقصته حين تبع الحمام، وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى إليها. فلما سمعت السلحفاة شان الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقـــالت له:

- ما ساقك إلى هذه الأرض ؟.

قـــال الغراب للجرذ:

- اقصص عليّ الأخبار التي زعمت أنك تحدثني بها فاخبرني بها مع جواب ما سالت السلحفاة فإنها عندك بمنزلتي، فبدأ الجرذ وقـــال:

- كان منزلي أول أمري بمدينة (ماروت) في بيت رجل ناسك، وكان خاليا من الأهل والعيال، وكان يؤتى في كل يوم بسلّة من الطّعام فياكل منها حاجته ويعلّق الباقي، وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب إلى السلّة فلا أدع فيها طعاما إلا أكلته، وأرمي به الجرذان، فجهد النّاسك مرارا أن يعلّق السلّة فـي مكان لا أناله فلم يقدر على ذلك، حتى نزل به ذات ليلـة ضيف فاكـلا جميعا ثم أخذا في الحديث، فقـال الناسك للضيف:

- من أيّ أرض أقبلت وأين تريد الآن؟.

وكان الرّجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب كثيرة، فانشا يحدث النّاسك عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل النّاسك خلال ذلك يصفّق بيديه لينفرني عن السلّة. فغضب الضيف وقـــال:

- أنا أحدّثك وأنت تهزأ بحديثي فما حملك على أن سالتني ؟ فاعتذر إليه الناسك وقـــال:

- إنّما أصفّق بيدي لأنفّر جرذا قد تحيّرت في أمره ولست أضع في البيت شيئًا إلا أكله، فقـــال الضّيف:

- جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة؟، فقـــال الناسك:

- جرذان البيت كثيرة ولكنّ فيها جرذا واحدا هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة.

قـــال الضّيف:

- لقد ذكّرتني قول الذي قـــال: لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور.

قـــال الناسك:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل السمسم المقشور وغير المقشر

قـــال الضّيف:

- نزلت مرّة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثـم فـرش لـي وانقلب الرّجل على فراشـه. فسمعته يقـول فـي آخـر اللّيل لامرأتـه:

- إنّي أريد أن أدعو غدا رهطا لياكلوا عندنا فاصنعـي لـهـم طعاما، فقـــالت المرأة:

- كيف تدعو الناس إلى طعامك وليس في بيتك فضـل عـن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئًا ولا تدّخره؟.

قـــال الرّجل:

- لا تندمـي علـى شـيء أطعمنـاه وأنفقنـاه فـإنّ الجـمـع والادّخـار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذّئب.

قـــالت المرأة:

- كيف كان ذلك؟

obeikandl.com

مثل الذئب و الرّجل والقوس

قــال الرّجل:

- زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشّابه، فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله. فاعترضه خنزير بريّ فرماه بنشّابة نفذت فيه فادركه الخنزير وضربه بانيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين، فاتى عليهم ذئب فقــال:

- هذا الرّجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدّة، ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومي، فعالج الوتر حتى قطعه فلمّا انقطع طارت سية (طـ ـيـ) القوس فضربت حلقه فمات.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلمي أن الجمع والادخار وخيم العاقبة، فقــالت المرأة:

- نعم ما قلت وعندنا من الأرزّ والسّمسم ما يكفي ستّة نفر أو أكثر، فانا غادية على صنع الطّعام فادع من أحببت.

وأخذت المرأة حين أصبحت سمسما وقشرته وبسطته فـي الشمس ليجفّ وقــالت لغلام لهم:

- اطرد عنه الطير والكلاب، وتفرّغت المرأة لصنعها وتغافل

opelkandi.com

الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاما، فذهبت به إلى السوق فاخذت بـه مقايضة سمسما غير مقشور مثلا بمثل، وأنا واقف في السّوق، فقـــال رجل لآخر:

- لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور.

وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه عل غير علّة مـا يقدر على ما شكوت منه، فالتمس لي فاسا لعلي احتفر جحره فاطلّع على بعض شانه، فاستعار النّاسك من بعض جيرانه فاسا فاتى بها الضيف وأنا حينئذ في جحر غير جحري أسمع كلامهما، وفي جحري كيس فيه مئة دينار، لا أدري من وضعها.

فاحتفر الضّيف حتى انتهى على الدّنانير فاخذها وقال للنّاسك:

- ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب إلاّ بهذه الدنانير، فإنّ الـمـال جُعل له قوة وزيـادة فـي الـرأي والتّمكن، وستــرى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب.

فلما كان الغد اجتمعت الجرذان التي كانت معي فقـــالت:

- قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا، فانطلقت ومعي الجرذان إلــى المكان الذي كنت أثب منه إلى السلّة فحاولت ذلك مرارا فلـم أقدر عليه، فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن:

- انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده، فإنّـا نـرى لـه حـالا

لا نحسبه إلاّ قد احتاج إلى من يعوله فتركنني ولحقن باعدائي، وجفونني وأخذن في غيبتي عند من يُعاديني ويحسدني، فقلت في نفسي:

- ما الإخوان ؟ ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلاّ بالمال ؟، ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العُدم عما يريده، كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشّتاء، لا يمرّ إلى نهر، ولا يجري إلى مكان فتشربه أرضه، ووجدت من لا إخوان له لا أهل له، ومن لا ولد له لا ذكر له، ومن لا مال له لا عقل له، ولا دنيا ولا آخرة له، لأن الرّجل إذا افتقر قطعه أقاربه وإخوانه، وإنّ الشجرة النّابتة في السبّاخ، الماكولة من كلّ جانب، كحال الفقير المحتال إلى ما في أيدي النّاس.

ووجدت الفقر رأس كل بلاء، وجالبا إلى صاحبه كلّ مقت ومعدن النّميمة، ووجدت الرّجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا، وأساء به الظّنّ من كان يظنّ به حسنا، فإن أذنب غيره كان هو للتّهمة موضعا، وليس من خلّة هي للغنيّ مدح إلاّ وهي للفقير ذمّ، فإن كان شجاعا قيل أهوج، وإن كان جوّادا سمّي مبذّرا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا، وإن كان صموتا سميّ عييّا، وإن كان لسنا سمي مهذارا.

فالموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها إلى المسالة

ولاسيّما مسالة الأشحّاء واللّئام، فإنّ الكريم لو كلّف أن يدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه، وأحبّ إليه من مسالة البخيل اللّئيم. وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها النّاسك فجعل النّاسك نصيبه في خريطة عند رأسه لما جنّ اللّيل، فطمعت أن أصيب منها شيئًا، فارده إلى جحري، ورجوت أن يزيد ذلك في قوّتي، ويراجعني بسببه بعض أصدقائي، فانطلقت على النّاسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه، فوجدت الضّيف يقظان وبيده قضيب، فضربني على رأسي ضربة موجعة فسعيت إلى جحري، فلّما سكن عنّي الألم، هيّجني الحرص والشّره، فخرجت طمعا كطمعي الأوّل، وإذا الضيّف يرصدني فضربني بالقضيب ضربة أسالت مني الدّم، فتقلبت ظهرا لبطن إلى جحري، فخررت مغشيّا عليّ فاصابني من الوجع ما بغض إليّ المال، حتى لا أسمع بذكره، إلا تداخلني من ذكره رعدة وهيبة.

ثم تذكرت وجدت البلاء في الدّنيا إنّما يسوقه الحرص والشّره، لأنهما لا يزالان يُدخلان صاحبهما من شيء على شيء، والأشياء لا تنفذ ولا تنتهي، ولا يزال صاحب الدّنيا في بليّة، وتعب ونصب، ووجدت تجشّم الأسفار البعيدة في طلب الدّنيا أهون عليّ من بسط اليد إلى السّخي بالمال، ولم أر كالرضى شيئًا.

ووجدت العلماء قد قالوا لا عقل كالتّدبير، ولا ورع ككف الأذى، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرّضى، وأحقّ ما صبّر الإنسان على الشيء نفسه، وأفضل البرّ الرّحمة، ورأس المودّة الاسترسال، ورأس العقل معرفة ما يكون ممّا لا يكون، وقـــالوا:

- الخرس خير من اللّسان الكذوب، والضرّ والفقر خير من النّعمة والسّعة من أموال الناس.

فصار أمري إلى أن رضيت، وقنعت، وانتقلت من بيت النّاسك إلى البّريّة، وكان لي صديق من الحمام فسيقت إلي بصداقته صداقة الغراب، والتفت إلى السلحفاة، فقـــال:

- ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من المودّة وأخبرني أنـه يريد إتيانك فاحببت أن آتيك معه، وكرهت الوحدة فإنّه لا شيء من سرور الدّنيا يعدل صحبة الإخوان، ولا غمّ فيها يعدل البعد عنهم، وجرّبت فعلمت انه لا ينبغي للعاقل أن يلتمس مـن الدّنيا غير الكفاف الذي يدفع به الأذى عن نفسه، وهو يسير مـن المطعم والمشرب إذا أُعين بصحة وسعة، ولو أنّ رجلا وُهبت لـه الدنيا بما فيها لينتفع به، لا ينتفع من ذلك إلا بالقليل، الـذي يدفع به عن نفسه الحاجة، فاقبلت مع الغراب إليك على هـذا الرّأي وأنا لك أخ فلتكن منزلتي عندك كذلك.

فلمّا فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلّحفاة بكلام رقيق وقالت:

- قد سمعت كلامك، وما أحسن ما تكلّمت به إلاّ أنّي رأيتك تذكر بقايا أمور هي في نفسك من حيث قلّة مالك، وسوء حالك، واغترابك عن موطنك، فاطرح ذلك عن قلبك، واعلم أنّ حسن الكلام لا يتمّ إلاّ بحسن العمل، وأنّ المريض الذي قد علم دواء مرضه إن لم يتداو به لم يغن علمه به شيئًا، ولم يجد لدائه راحة ولا خفّة، فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلّة المال، فإنّ الرّجل ذا المروءة قد يُكرم على غير مال، كالأسد الذي يُهاب، وإن كان رابضا، والغنيّ الذي لا مروءة له يهان، وإن كان كثير المال، كالكلب لا يُحفل به وإن طوّق وخلخل بالذّهب، فلا تكبرنّ عليك غربتك، فإنّ العاقل لا غربة له، كالأسد الذي لا ينقلب إلاّ معه قوته.

فلتحسن تعهّدك لنفسك، فإنّك إذا فعلت ذلك جاء الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره، وإنّما جعل الفضل للحازم البصير، وأمّا الكسلان المتردّد فإن الفضل لا يصحبه، وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظلّ الغمامة في الصّيف وخلّة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير، فالعاقل لايحزن لقلّته ولكنّ ماله عقله وما قدم من صالح عمله، فهو واثق أنه لا يُسلب ما عمل، ولا يؤآخذ بشيء لم يعمله، وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته، فإنّ الموت لا ياتي إلاّ بغتة ليس له وقت

معيّن، وأنت عن موعظتي غنّي بما عندك من العلم، ولكن رأيت أن أقضي من حقّك فانت أخونا وما قِبَلنا مبذول لك.

فلما سمع الغراب كلام السلّحفاة للجرذ وردّها عليه وإلطافها إيّاه فرح بذلك وقال:

- لقد سررتني وأنعمت علي وأنت جديرة أن تسُرّي نفسك بمثل ما سررتني به، وإنّ أولى أهل الدّنيا بشدّة السّرور من لا يزال رحله موطوءا من إخوانه وأصدقائه، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرّهم ويسرّونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فإنّ الكريم إذا عثر لا ياخذ بيده إلاّ الكرام كالفيل إذا وحل لا تُخرجه إلاّ الفيلة.

فبينما الغراب في كلامه والثلاثة مستانسون بعضهم بعض إذا أقبل نحوهم ظبي يسعى فذُعرت منه السلّحفاة فغاصت في الماء، ودخل الجرذ إلى جحره، وطار الغراب فوقع على شجرة، ثم إنّ الغراب حلّق في السّماء لينظر هل للظبي طالب، فنظر فلم ير شيئا، فنادى الجرذ والسلّحفاة فخرجا، فقالت السلّحفاة للظبي حين رأته ينظر إلى الماء ولا يقربه:

- أشرب إن كان بك عطش ولا تخف فإنه لا خوف عليك، فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيّته وقالت له:

- من أين أقبلت ؟.

قـــال:

- كنت بهذه الصحاري راتعا، فلم تزل الأساورة تطردني من مكان إلى مكان حتى رأيت اليوم شبحا فخفت أن يكون قانصا.

قـــالت:

- لا تخف فإنّا لم نر هاهنا قانصا قطّ، ونحن نبذل لك ودّنا ومكاننا، والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا.

فاقام الظبي معهم، وكان لهم عريش يجتمعون فيه، ويتذاكرون الأحاديث والأخبار.

فبينما الغراب والجرذ والسلّحفاة ذات اليوم في العريش إذ غاب الظّبي فتوقّعوه ساعة فلم يات، فلما أبطا أشفقوا أن يكون قد أصابه عُنت، فقـــال الجرذ والسلّحفاة للغراب:

- هل ترى مما يلينا شيئًا؟، فحلّق الغراب في السّماء فنظر فإذا الظبي في الحبائل مُقْتَنَصًا، فانقضّ مسرعا فاخبرهما بذلك، فقـــالت السلّحفاة و الغراب للجرذ:

- هذا أمر لا يُرجى فيه غيرك فاغث أخاك، فسعى الجرذ مسرعا فاتى الظبي، فقـــال له:

- كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس؟.

قـــال الظّبي:

- هل يُغني الكيس مع المقادير شيئًا؟.

فبينما هما في الحديث إذ وافتهما السلّحفاة، فقال لها الظبي:

- ما أصبت بمجيئك إلينا فإنّ القانص لو انتهى إلينا وقد قطع الجرذ الحبائل سبقته عدوا وللجرذ أجحار كثيرة، والغراب يطير، وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة، وأخاف عليك القانص.

قـــالت:

- لا عيش مع فراق الأحبة، وإذا فارق الأليف أليفه، فقد سُلب فؤاده، وحرم سروره، وغشي على بصره.

فلم ينته كلامها حتى وافى القانص، ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك، فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا، ودخل الجرذ بعض الأجحار ولم يبق غير السلحفاة، ودنا الصياد فوجد حبائله مقطعة، فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فاخذها وربطها، فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة، فاشتدّ حزنهم، وقـــال الجرذ:

- ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء إلاّ صرنا في أشدّ منها، ولقد صدق الذي قال: لا يزال الإنسان مستمرا في إقباله ما لم يعثر، فإذا عثر لجّ به العثار، وإن مشى في الأرض، وحذري على السلحفاة خير الأصدقاء التي خلّتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة، ولكنها خلّة الكرم والشرف، خلّة هي أفضل من خلّة الوالد لولده، خلّة لا يزيلها إلا الموت.

ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب، ولا يدوم له شيء، ولا يلبث معه أمر، كما لا يدوم للطّالع على النجوم طلوع، ولا للآفل منها أفول، لكن لا يزال الطّالع منها آفلا والآفل طالعا، وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه، بفقد إخوانه بعد اجتماعه بهم، فقـــال الظبي والغراب للجرذ:

- إنّ حذرنا وحذرك وكلامك وإن كان بليغا فإنه لا يُغني عـن السلّحفاة شيئًا، وإنّه كما يقال إنّما يختبر الناس عند البلاء، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، والأهل والولد عند الفاقة، والإخوان عند النّوائب.

قـــال الجرذ:

- أرى من الحيلة أن تذهب أيها الظبي فتقع بمنظر من القانص كانك جريح ويقع الغراب عليك كانه ياكل منك، وأسعى أنا فاكون قريبا من القانص مراقبا له، لعلّه يرمي ما معه من الآلة ويدع السلحفاة ويقصدك طمعا فيك، راجيا تحصيلك، فإذا دنـا منك ففرّ عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه منك، وأمكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا، وأنح منه النحو ما استطعت، فإني أرجو ألا ينصرف إلا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها.

ففعل الضبي والغراب ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص، فاستطرد له الظبي حتى أبعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة، وعاد القانص مجهودا لاغبا فوجد حبائله مقطّعة.

ففكّر في أمره مع الظبي فظنّ أنه خولط في عقله، وفكّر فـي أمر الظبي والغراب الذي كان كانه ياكل منه، وتقريض حبائله، فاستوحش من الأرض، وقــال: هذه أرض جن أو سحرة، فرجع موليا لا يلتمس شيئًا ولا يلتفت إليه، واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة إلى عريشهم آمنين كاحسن ما كانوا عليه.

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضُعفه قد قدر على التخلّص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخُلُوصِها، وثبات قلبه عليها، واستمتاع بعضه ببعض، فالإنسان الذي قد أعطي العقل الفهم، وألهم الخير والشر، ومُنح التمييز والمعروف أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد.

فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة.

باب
البوم والغربان

abeikandi.com

obeikandl.com

باب
البوم والغربان

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت مثل إخوان الصّفاء وتعاونهم فاضرب لي مثل العدوّ الذي لا ينبغي أن يُغترّ بـه، وإن أظهر تضرّعا وملقا، وأخبرني عن العدو هل يصير صديقا وهل يُوثق من أمره بشيء، وكيـف العـداوة ومـا ضررهـا، وكيف ينبغي للملك أن يصنـع إذا طلب عدوه مصالحته.

قـــال الفيلسوف:

- من اغترّ بالعدوّ والذي لا يزال عدوّا أصابه ما أصاب البوم من الغربان.

قـــال الملك:

- وكيف ذلك ؟.

obeikandi.com

قـــال بيدبا:

- زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدّوح فيها وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال منهن، فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان، وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم، فاغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا، وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلـن لـه:

- قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منّا إلاّ من أصبح قتيلا أو جريحا أو مكسور الجناح، أو منتـوف الريـش، أو مقطوف الذنب، وأشـد ما أصابنا ضرا جرأتهـن علينا وعلمهن بمكاننا وهـن عائدات إلينا، غير منقطعات عنا، لعلمهن بمكاننا، فإنّما نحن لك أيّها الملك ولك الرأي فانظر لنا ولنفسك.

وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرّأي يُستند إليهنّ في الأمور، وتُلقى إليهن مقاليد الأحوال، وكان الملك كثيرا ما يشاورهن في الأمور، ويأخذ آراءهن في الحوادث والنّوازل، فقـــال الملك للأوّل من الخمسة:

- ما رأيك في هذا الأمر؟.

قـــال:

- رأي قد سبقنا إليه العلماء، وذلك أنهم قـــالوا: ليس للعدوّ الحنق الذي لا طاقة لك به إلاّ الهرب منه.

قـــال الملك للثاني:

- ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟.

قـــال:

- ما رأى هذا من الهرب.

قـــال الملك:

- لا أرى لكما ذلك رأيا، أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا، من أول نكبة أصابتنا منه، ولا ينبغي لنا ذلك، ولكن نجمع أمرنا ونستعدّ لعدوّنا، ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدوّنا، ونحترس من الغرّة إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدّين، ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا حامين منه، وتلقى أطرافنا أطراف العدوّ ونتحرّز بحصوننا، وندافع عدوّنا بالأناة مرة، وبالجلاد أخرى، حيث نصيب فرصتنا وبُغيتنا، وقد ثنينا عدوّنا عنّا، ثم قال الملك للثالث:

- ما رأيك أنت ؟.

قـــال:

- لا أرى ما قالا رأيا، ولكن نبثُّ العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطّلائع بيننا وبين عدوّنا، فنعلم هل يريد صلحنا

أم يريد حربنا أم يريد الفدية؟، فإن رأينا أمره أمر طامع في مال لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة، ندفع به عن أنفسنا ونطمئنّ في أوطاننا، فإنّ من آراء الملوك إذا اشتدّت شوكة عدوّهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال جُنّة البلاد والملك والرّعية.

قـــال الملك للرابع:

- فما رأيك في هذا الصلح ؟.

قـــال:

- لا أراه رأيا بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة، وشدّة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا، ونخضع للعدوّ والذي نحن أشرف منه، مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منّا إلاّ بالشّطط ويقال في الأمثال " قارب عدوّك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك، ويُضعف جندك، وتذلّ نفسك"، ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلّها، وإذا جاوزت بها الحدّ في إمالتِكَها نقص الظّلّ، وليس عدوّنا راضيا منّا بالدّون في المقاربة. فالرأي لنا ولك المحاربة.

قال الملك للخامس:

- ما تقول أنت وماذا ترى؟، القتال أم الصّلح أم الجلاء عن الوطن؟.

قــال:

- أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه، وقد يُقال إنّه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها، مع أن العاقل لا يستصغر عدوا، فإن من استصغر عدوّه اغترّ به، ومن اغترّ بعدوّه لم يسلم منه، وأنـا للبوم شديد الهيبة، وإن أضربن عن قتالنا، وقد كنت أهابها قـبل ذلك.

فإنّ الحازم لا يامن عدوّه على كلّ حال، فإن كان بعيدا لم يامن سطوته، وإن كان مكثبا لم يامن وثبته، وإن كان وحيدا لم يامن مكره، وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النّفقة فيه، فإنّ ما دون القتال النّفقة فيه من الأموال والقول والعمل، والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان، وربّما اكتفي عنه بالنفقة اليسيرة والكلام اللّيّن.

فلا يكوننّ القتال للبوم من رأيك أيّها الملك، فإنّ من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرّر بنفسه، فإن كان الملك محصنا للأسرار متخيّرا للوزراء مهيبا في أعين النّاس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا أن لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير، وأنت أيّها الملك كذلك والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوريه من الأنهار.

وقد استشرتني في أمر جوابك مني منه في بعضه علانية وقد أجبتك به، وفي بعضه سرّ وللأسرار منازل منها ما يدخل فيه الرّهط، ومنها ما يستعان فيه بالقوم، ومنها ما يدخل فيه الرجلان، ولست أرى لهذا السّرّ على قدر منزلته أن يشارك فيه إلا أربع أذان ولسانان.

فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره، فكان أوّل ما ساله عنه الملك أنه قال:

- هل تعلم ابتداء العداوة ما بيننا وبين البوم ؟.

قال:

- نعم، كلمة تكلّم بها غراب.

قال الملك:

- وكيف كان ذلك؟

مثل الغراب والكركيّ

قال الغراب:

- زعموا أن جماعة من الكراكي لم يكن لها ملك، فاجمعت أمرها على أن تملّك عليها ملك البوم، فبينما هي في مجمعها إذ وقع لها غراب، فقالت:

- لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا، فلم يلبثن

obeikandl.com

دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه، فقــال:

- لو أن الطير بادت من الأقاليم وفُقد الطاووس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن إلى أن تُملكن عليكن البوم التي هي أقبح الطير منظرا وأسوأها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا في النهار، وأشّد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها، إلاّ أن ترين أن تملكنها، وتكن أنتنّ تدبّرن الأمور دونها برأيكنّ وعقولكنّ كما فعلت الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها ثم عملت برأيها.

قــالت الطير:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الأرنب وملك الفيلة

قــال الغراب:

- زعموا أن أرضا من أراضي الفيلة تتابعت عليها السّنون وأجدبت وقلّ ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فاصاب الفيلة عطش شديد، فشكون ذلك إلى ملكهنّ فارسل الملك رسله وروّاده في طلب الماء في كل ناحية، فرجع إليه بعض

الرّسل فقال له:

- إني قد وجدت بمكان كذا عينا يقــال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجّه ملك الفيلة باصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هـو وفيلته، وكانت العين في أرض للأرانب فوطئن الأرانب فـي أجحارهنّ فاهلكن منهن كثيرا، فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن لـه:

- قد علمت ما أصابنا من الفيلة، فقــال:

- ليُحضر منكنّ كلّ ذي رأي رأيه.

فتقدّمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز، وكان الملك يعرفها بحسن الرأّي والأدب، فقــالت:

- إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه إلى الملك، فقــال لها الملك:

- أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقي إلى الفيلة وبلّغي عنّي ما تريدين، واعلمي أنّ الرّسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللّين والرّفق والحلم والتاني فإنّ الرّسول هو الذي يُليّن الصّدور إذا رفق، ويخشّن الصدور إذا خرق.

ثم إنّ الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة، وكرهت أن تدنو منهنّ مخافة أن يطانها بارجلهنّ فيقتلنها وإن كنّ غير متعمّدات، فاشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة،

وقـــالت له:

- إنّ القمر أرسلني إليك والرّسول غير ملوم فيما يُبلغ وإن أغلظ في القول.

قـــال ملك الفيلة:

- فما الرّسالة ؟.

قـــالت:

- يقول لك إنّه من عرف فضل قوّته على الضّعفاء فاغتر فـي ذلك بالأقوياء قياسا لهم على الضّعفاء كانت قوّته وبالا عليه، وأنت قد عرفت فضل قوّتك على الدوّاب، فغرّك ذلك فعمدت إلى العين التي تسمى باسمي فشربت منها وكدّرتها، فارسلني إليك فانذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك وأنّه إن فعلت يُغشّي على بصرك ويُتلف نفسك، وإن كنت في شكّ من رسالتي فهلمّ إلى العين من ساعتك فإنه موافيك بها.

فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول:

- خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر، فادخل الفيل خرطومه في الماء فتحرّك فخيّل إلى الفيل أن القمر ارتعد، فقال:

- ما شان القمر ارتعد أترينه غضب من إدخالي الخرطوم

obeikandi.com

فـي الـمـاء ؟.

قـــال فيروز الأرنب:

- نعم، فسجد الفيل للقمر، مرة أخرى وتاب إليه مما صنع وشرط أن لا يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته.

قـــال الغراب:

- ومع ما ذكرت من أمر البوم فإنّ فيها الخبّ والمكر والخديعة، وشرّ الملوك المخادع، ومن ابتُلي بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الأرنب والصّفرد حيث احتكما إلى السّنور.

قـــالت الكراكيّ:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الأرنب والصفرد والسنور

قـــال الغراب:

- كان لي جار من الصفاردة في أصل شجرة قريبة من وكري، وكان يُكثر مواصلتي، ثم فقدته فلم أعلم أين غاب وطالت غيبته عني، فجاءت أرنب إلى مكان الصفرد فسكنته فكرهت أن أخاصم الأرنب فلبثت فيه زمانا.

ثم إنّ الصّفرد عاد بعد زمان فاتى منزله فوجد فيه الأرنب،

فقال لها:

- هذا المكان لي فانتقلي منه.

قــالت الأرنب:

- المسكن لي وتحت يدي وأنت مدّع له، فإن كان لك حـقّ فاستعد عليّ.

قــال الصفرد:

- القاضي منّا قريب فهلمّي بنا إليه.

قــالت الأرنب:

- ومن القاضي؟

قــال الصّفرد:

- إنّ بساحل البحر سنّورا متعبّدا يصوم النّهار ويقوم اللّيل كلّه، ولا يؤذي دابّة، ولا يُهرق دما، عيشه من الحشيش ومما يقذفه إليه البحر، فإن أحببت تحاكمنا إليه ورضينا بـه.

قــالت الأرنب:

- ما أرضاني به إذا كان كما وصفت فانطلقا إليه. فتبعتهما لأنظر على حكومة الصّوّام القوّام، ثم إنّهما ذهبا إليه فلما بصُر السّنّور بالأرنب والصّفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلي، وأظهر الخشوع والتّنسّك، فعجبا لما رأيا من حاله، ودنوا منه هائبين لـه، وسلّما عليه وسـالاه أن يقضي بينهما، فـامرهـما

Obeikandi.com

أن يقصّا عليه القصّة ففعلا.

قـــال لهما:

- قد بلغني الكبر وثقلت أذناي فادنوا مني فاسمعاني مـــا تقولان، فدنوا منه وأعادا عليه القصة وسالاه الحكم، فقال:

- قد فهمت ما قلتما، وأنا مبتدئكما بالنّصيحة قبل الحكومة، فانا آمركما بتقوى الله، وأن لا تطلبا إلا الحق، فإن طالب الحق هـو الذي يُفلح، وإن قُضي عليه، وطالب الباطل مخصوم وإن قضي له، وليس لصاحب الدّنيا من دنياه شيء لا مال ولا صديق سوى العمل الصّالح يقدّمه، فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غدا، وأن يمقت بسعيه ما سوى ذلك من أمور الدّنيا، فإن منزلة المال عند العاقل بمنزلة القذى، ومنزلة الناس عنده فيما يحبّ لهم من الخير، ويكره من الشرّ بمنزلة نفسه.

ثم إنّ السّنّور لم يزل يقصّ عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا إليه، وأقبلا عليه، ودنوا منه، فوثب عليهما فقتلهما.

قـــال الغراب:

- ثم إنّ البُوم تجمع ما وصفت لكُنّ من الشّؤم وسائر العيوب، فلا يكوننّ تمليك البوم من رأيكنّ.

فلما سمع الكراكيّ ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم، وكان هناك بُوم حاضر قد سمع ما قـالوا، فقـال للغراب:

- لقد وترتني أعظم التّرة، ولا أعلم أنّه سلف مني إليك سوء أوجب هذا، وبعد فاعلم أن الفاس يُقطع بها الشّجر فيعود ينبت، والسّيف يقطع اللّحم، ثم يرجع فيندمل، واللّسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه، والنصل من السّهم يغيب في اللّحم ثم ينزع فيخرج، وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تُستخرج، ولكلّ حريق مطفئ، فللنّار الماء، وللسّم الدّواء، وللحزن الصّبر، وللعشق الفرقة، ونار الحقد لا تخبو أبدا، وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء.

فلّما قضى البوم مقالته ولّى مُغضبا فاخبر ملك البوم بما جرى، وبكلّ ما كان من قول الغراب.

ثم إنّ الغراب ندم على ما فرّط منه وقـال:

- والله لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي، وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال، ولـم أعلمها بهذا الأمر، ولعلّ أكثر الطير قد رأى أكثر ممّا رأيت وعلم أضعاف ما علمت، فمنعها من الكلام بمثل ما تكلّمت اتّقـاء

مـا لم اتّق، والنّظر فيما لم أنظر فيه مـن حـذر العـواقـب، ولاسيّمـا إذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه، وقائله لمكروه مما يورث الحقد والضّغينة، فلا ينبغي لأشباه هذا الكلام أن يسمى كلاما، ولكن سهاما، والعاقل وإن كان واثقا بقـوّتـه وفضلـه لاينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة لنفسه اتّكالا على ما عنده من الرأي والقوّة كما أنّه وإن كان عنده الترياق ولا ينبغي له أن يشرب السّمّ اتكالا على ما عنده.

وصاحب حُسن العمل وإن قصّر به القول في مستقبل الأمر كان فضله بيّنا واضحا في العاقبة والاختيار.

وصاحب حسن القول وإن أعجب النّاس منه حسن صفته للأمور لم تحمد عاقبة أمره، وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة لـه محمودة، أو ليس من سفهي اجترائي على التكلم في أمر لـم أستشر فيه أحدا، ولم أعمل فيه رأيا؟ ومن لم يستشر النصحاء الأولياء وعمل برأيه من غير تكرار النّظير والرّويّة لم يغتبط بمواقع رأيه، فما كان أغناني عمّا كسبت يومي هذا وما وقعت فيه من الهمّ. وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب.

هذا ما سالتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البُوم، وأمّـا القتال فقد علمت رأيي فيه، وكراهتي له، ولكن عندي مـن الرأي والحيلة غير القتال، ما يكـون فيه الفرج إن شاء الله تعالى،

فإنّــه رُبّ قوم قد احتالـوا بآرائهـم حتى ظفروا بمـا أرادوا، ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الجماعة والناسك وعريضه

قـــال الغراب:

- زعموا أنّ ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا، فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهـم أن ياخذوه من النّاسك، فعرض له أحدهم، فقـــال له:

- أيّها النّاسك ما هذا الكلب الذي معك، ثم عرض له الآخر فقـــال لصاحبه:

- ما هذا ناسكا لأنّ النّاسك لا يقود كلبا، فلم يزالوا مـع النّاسك على هذا ومثله حتى لم يشك أنّ الذي يقوده كلب وأنّ الـذي باعـه إيّاه سحر عينيه، فاطلقه من يده فاخذه الجماعة المحتالون ومضـوا به.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن ُنصيب من حاجتنا بالرّفق والحيلة، وإني أريد من الملك أن ينقرني على رؤوس الأشهاد وينتف ريشي وذنبي ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة، ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا، فإني أرجو أني أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم، فاخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى.

قـــال الملك:

- أتطيب نفسك لذلك ؟.

قـــال:

- نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك؟، وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده، ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه.

فجعل الغراب يئنّ ويهمس حتى سمعه البوم ورأينه يئنّ فاخبرن ملكهنّ بذلك فقصد نحوه ليساله عن الغربان، فلما دنـا منه أمر بوما أن يساله، فقـــال له:

- من أنت وأين الغربان؟، فقـــال:

- أما إسمي ففلان، وأما ما سالتني عنه فإني أحسبك تـرى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار، فقيل لملك البوم:

- هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه، فنساله باي ذنب صُنع؟

obeikandl.com

به ما صنع، فسئل الغراب عن أمره، فقـــال:

- إن ملكنا استشار جماعتنا فيكنّ وكنت يومئذ بمحضر من الأمر، فقـــال:

- أيّها الغربان ما ترون في ذلك؟، فقلت:

- أيّها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنّهنّ أشدّ بطشا وأحدّ قلبًا منّا، ولكن أرى أن نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك، فإن قبلت البوم ذلك منّا وإلاّ هربنا في البلاد، وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهنّ وشرّا لنا، فالصّلح أفضل من الخصومة، وأمرتهنّ بالرجوع عن الحرب وضربت لهنّ الأمثال في ذلك، وقلت لهنّ إنّ العدوّ الشديد لا يردّ باسه وغضبه مثل الخضوع له، ألا ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عاصف الرّيح للينه وميله معها حيث مالت.

فعصينني في ذلك وزعمن أنّهنّ يردن القتال واتّهمنني فيما قلت، و قلن:

- إنّك قد ملأت البوم علينا ورددن قولي ونصيحتي وعذّبنني بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل، ولا علم لي بهنّ بعد ذلك.

فلما سمع ملك البوم مقـــالة الغراب قال لبعض وزرائه:

- ما تقول في الغراب وما ترى فيه ؟.

قـــال:

- ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل، فإن هذا أفضل عدد الغربان، وفي قتله لنا راحة من مكره، وفقده على الغربان شديد، ويقـــال من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي لـه فليس بحكيم، ومن طلب الأمر الجسيم فامكنه ذلك فاغفله فآته الأمر، وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية، ومن وجد عدوّه ضعيفا ولم ينجز قتله ندم إذا استقوى، ولم يقدر عليه.

قـــال الملك لوزير آخر:

- ما ترى أنت في هذا الغراب ؟.

قـــال:

- أرى أن لا تقتله، فإنّ العدوّ الذي لا ناصر له أهل لأن يستبقى ويُرحم ويُصفح عنه، لا سيما المستجير الخائف، فإنه أهل لأن يؤمن، والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمد لها أهل لأن يصفح عنه بسببها، كالتاجر الذي عطف على سارق لمكانة امرأته عنده.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل التاجر وامرأته والسارق

قـــال الوزير:

- زعموا أنه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال، وأنّ سارقا تسوّر بيت التّاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السّارق، ووثبت إلى التّاجر فالتزمته وأيقظته ولم يكن يجري بينهما كلام، فاستيقظ التّاجر بالتزامها إياه، فـقال:

- من أين لي هذه النعمة؟، ثمّ بصر بالسّارق، فقـــال:

- أيّها السارق أنت في حلّ مماّ أخذت من مالي ومتاعي ولك الفضل بما عطّفت قلب زوجتي على معانقتي.

قـــال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه:

- ما تقول في الغراب ؟، فقـــال:

- أرى أن تستبقيه وتُحسن إليه، فإنّه خليق أن ينصحك، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا، ويرى اشتغال بعض أعدائه ببعض خلاصا لنفسه منهم، ونجاة كنجاة النّاسك من اللصّ والشيطان حين اختلفا عليه.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الناسك واللص والشيطان

قـــال الوزير:

- زعموا أن ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبة، فانطلق بهـا يقودها إلى منزله، فعرض له لصّ أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه، فقـــال الشّيطان للصّ:

- مـن أنـت ؟، فقـــال:

- أنا اللصّ أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام فمن أنـت؟.

قـــال:

- أنا الشيطان أريد اختطافه إذا نام وأذهب به.

فانتهيا على هذا إلى المنزل، فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه، وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل وتعشّى ونام، فاقبل اللصّ والشيطان ياتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولا، فقـــال الشّيطان للصّ:

- إن أنت بدأت باخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع النّاس فلا أقدر على أخذه فانتظرني ريثما آخذه وشانك وما تريد، فاشفق اللصّ إن بدأ الشيطان باختطافه أن يستيقظ، فلا يقدر على أخذ البقرة، فقـــال:

- لا بل أنظرني أنت حتى آخذ البقرة وشانك وما تريـد،

Obeikandl.com

فلـم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللصّ:

- أيّها النّاسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك، ونادى الشيطان:

- أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد أن يسرق بقرتك، فانتبه النّاسك وجيرانه باصواتهما وهرب الخبيثان، فقال الوزير الأوّل الذي أشار بقتل الغراب:

- أظنّ أنّ الغراب قد خدعكنّ ووقع كلامه في نفس الغبيّ منكنّ موقعه، فتُردْنَ أن تضعن الرأي في غير موضعه، فمهلا مهلا أيّها الملك عن هذا الرأي ولا تكوننّ كالرّجل الذي كذّب بما رأى وصدّق بما سمع وانخدع بالمحال.

فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل البوم ويكرم ويُستوصى به خيرا.

ثم إنّ الغراب قــال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهنّ الوزير الذي أشار بقتله:

- أيّهـا الملك قـد علمت مـا جـرى عليّ مـن الغـربـان وإنّـه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثاري منهنّ، وإني قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رُمت لأني غراب، وقد رُوي عن العلماء أنّهم قــالوا:

- من طابت نفسه بان يُحرقها فقد قرّب لله أعظم القربـان،

لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استُجيب لـه، فإن رأى الملـك أن يامرني فاحرق نفسي وأدعو ربي أن يحولّني بُوما فاكـون أشـدّ عداوة للغربان وأقوى باسا عليهنّ لعلّي أنتقم منهنّ، فقـال الوزير الذي أشار بقتله:

- ما أشبهك في خير ما تظهر وشرّ ما تخفي إلاّ بالخمرة الطيّبة، الطّعم والرّيح المنقع فيها السّمّ، أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنّار أن جوهرك وطباعك متغيّرة؟ أو ليست أخلاقك تدور معك حيث دُرت، وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك؟ كالفارة التي خيّرت في الأزواج بين الشمس والريح والسّحاب والجبل فلم يقع اختيارها إلاّ على الجرذ، قيل لـه:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الفأرة التي خيرت بين الأزواج

قـال:

- زعموا أن ناسكا مُستجاب الدّعوة بينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر إذ مرّت به حِدأة في رجلها درصة فارة، فوقعت منها عند النّاسك وأدركته لها رحمة فاخذها ولفّها في ورقة وذهب بها إلى منزله، ثم خاف أن تشقّ على أهله تربيتها،

فدعا ربّه أن يحوّلها جارية فتحولت حسناء، فانطلق بها إلى امرأته، فقـــال لها:

- هذه ابنتي فاصنعي معها صنيعك بولدي.

فلما بلغت مبلغ النساء قـــال لها الناسك:

- يا بنيّة إنك قد أدركت ولا بد لك من زوج فاختاري من أحببت حتى أزوّجك به؟، فقـــالت:

- أما إذا خيّرتني فإني أختار زوجا يكون أقوى الأشياء، فقـــال النّاسك:

- لعلّك تريدين الشّمس، ثم انطلق إلى الشّمس فقـــال لها:

- أيها الخلق العظيم لي جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الأشياء فهل أنت متزوّجها؟، فقـــالت الشّمس:

- أنا أدلّك على من هو أقوى مني، السّحاب الذي يغطيني ويردّ جرم شعاعي ويكسف أشعة أنواري.

فذهب النّاسك إلى السّحاب فقـــال له ما قـــال للشّمس، فقـــال السّحاب:

- وأنا أدلّك على من هو أقوى منّي، فاذهب إلى الريح التي تُقبل بي وتدبرُ، وتذهب بي شرقا وغربا.

فجاء النّاسك إلى الريح فقـــال لها كقوله للسّحاب، فقـــالت:

- وأنا أدلّك على من هو أقوى منّي وهو الجبل الذي لا أقدر

على تحريكه، فمضى إلى الجبل فقـــال له القول المذكور فاجابه الجبل وقـــال له:

- أنا أدلّك على من هو أقوى منّي، الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا خرقني واتخذني مسكنًا.

فانطلق النّاسك إلى الجرذ فقـــال له:

- هل أنت متزوج هذه الجارية ؟.

فقـــال:

- وكيف أتزوّجها وجحري ضيّق، وإنّما يتزوج الجرذ الفارة، فدعا الناسك ربّه أن يحوّلها فارة كما كانت، وذلك برضى الجارية، فاعادها الله إلى عنصرها الأوّل فانطلقت مع الجرذ.

فهذا مثلك أيّها المخادع، فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول، ورفق بالغراب ولم يزدد له إلاّ إكرامًا، حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطّلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فاتى أصحابه بما رأى وسمع، فقـــال للملك:

- إنّي قد فرغت ممّا كنت أريد، ولم يبق إلاّ أن تسمع وتطيع.

قـــال له:

- أنا والجند تحت أمرك فاحكم كيف شئت.

قـــال الغراب:

- إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب، وفي ذلك

obeikandi.com

الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع، ونحن مصيبون هناك نارا، ونلقيها في أثقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب، ونتروّح عليها ضربا باجنحتنا حتى تضطرم النّار في الحطب، فمن خرج منهن احترق، ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه.

ففعل الغربان ذلك فاهلكن البوم قاطبة، ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات.

ثم إنّ ملك الغربان قــال لذلك الغراب:

- كيف صبرت على صحبة البوم؟ ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار؟.

قــال الغراب:

- إنّ ما قلته أيّها الملك لكذلك، ولكنّ العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحملّه على نفسه وقومه لم يجزع من شدّة الصبر عليه، لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير، فلم يجد لذلك ألما، ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه، حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره.

فقــال الملك:

- أخبرني عن عقول البوم.

قــال الغراب:

- لم أجد فيهنّ عاقلا إلاّ الذي كان يحثهنّ على قتلي وكان

حرّضهن على ذلك مرارا فكنّ أضعف شيء رأيا فلم ينظرن في أمري ويذكرن أني قد كنت ذا منزلة في الغربان، وأني أعدّ من ذوي الرأي، ولم يتخوّفن مكري وحيلتي، ولا قبلن من النّاصح الشفيق ولا أخفين دوني أسرارهنّ، وقد قــالت العلماء:

- ينبغي للملك أن يحصّن أموره من أهل النميمة، ولا يُطلع أحدا منهم على مواضع سرّه.

فقــال الملك:

- ما أهلك البوم في نفسي إلاّ البغي وضُعف رأي الملك، وموافقته وزراء السّوء.

فقــال الغراب:

- صدقت أيّها الملك، إنه قلّما ظفر أحد بغنى ولم يطغ، وقلّما حرص الرّجل على النّساء ولم يفتضح، وقلّ من وثـق بـوزراء الســوء وسلـم من أن يقع فــي المهـالـك. وكان يُقــال لا يطمعنّ ذو الكبر في حسن الثّناء، ولا الخبّ في كثرة الصّديق، ولا السيئ الآداب في الشرف، ولا الشّحيح في البرّ، ولا الحريص في قلّة الذنوب، ولا الملك المختال المتهاون بالأمور الضّعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيّته.

قــال الملك:

- لقد احتملت مشقّة شديدة في تصنّعك للبوم وتضرّعك إليهنّ.

قـــال الغراب:

- إنّه من احتمل مشقّة يرجو نفعها ونحّى عن نفسه الأنفة والحميّة ووطّنها على الصّبر حمد غبّ رأيه، كما صبر الأسود على حمل ملك الضّفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل الأسود وملك الضفادع

قـــال الغراب:

- زعموا أن أسودا من الحيّات كبر وضعف بصره وذهبت قوّته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام، وإنّه انساب يلتمس شيئًا يعيش به حتى انتهى إلى عين كثيرة الضّفادع، قد كان ياتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه، فرمى نفسه قريبا منهنّ مُظهرا للكآبة والحزن، فقـــال له ضفدع:

- مالي أراك أيّها الأسود كئيبا حزينا؟.

قـــال:

- ومن أحرى بطول الحزن مني؟، وإنّما كان أكثر معيشتي مما كنت أصيب من الضّفادع فابتُليت ببلاء حرمت عليّ الضفادع

من أجله حتى أني إذا التقيت ببعضها لا أقدر على إمساكه.

فانطلق الضّفدع إلى ملك الضّفادع فبشّره بما سمع من الأسود، فاتى ملك الضّفادع إلى الأسود.

فقـــال له:

- كيف كان أمرك؟

قـــال:

- سعيت منذ أيّام في طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته إلى بيت ناسك، ودخلت في أثره في الظلمة، وفي البيت ابن للنّاسك، فاصبت إصبعه فظننت أنّها الضفدع فلدغته فمات، فخرجت هاربا فتبعني النّاسك في أثري ودعا عليّ ولعنني وقـــال:

- كما قتلت ابني البريء ظلما وتعديّا أدعو عليك أن تذلّ وتصير مركبا لملك الضّفادع فلا تستطيع أخذها ولا أكل شيء منها إلاّ ما يتصدق به عليك ملكها، فاتيت إليك لتركبني مقرا بذلك راضيا به.

فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود وظنّ أنّ ذلك فخر له، وشرف ورفعة، فركبه واستطاب ذلك.

فقـــال له الأسود:

- قد علمت أيّها الملك أني محروم فاجعل لي رزقا أعيش بـه.

قـــال ملك الضفادع:

- لعمري لا بدّ لك من رزق يقوم بك إذا كنت مركبي، فامر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويُدفعان إليه، فعاش بذلك ولم يضرّه خضوعه للعدوّ الذليل، بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة.

وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماسا لهذا النّفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الأمن والظّفر، وهلاك العدوّ والرّاحة منه، ووجدت صرعة اللّين والرّفق أسرع وأشدّ استئصالا للعدوّ من صرعة المكابرة والعناد، فإنّ النّار لا تزيد بحدّتها وحرّها إذا أصابت الشجرة، على أن تُحرق ما فوق الأرض منها، والماء بلينه وبرده يستاصل ما تحت الأرض منها، ويقال: أربعة أشياء لا يُستقلّ قليلها: النار، والمرض، والعدّو، والدّين.

قـــال الغراب:

- وكلّ ذلك كان من رأي الملك وأدبه وسعادة جدّه، وإنّه كان يقال: إذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما أفضلهما مروءة، فإن اعتدلا في المروءة فاشدّهما عزما، فإن استويا في العزم فاسعدهما جدا، وكان يقـــال:

- من حارب الملك الحازم الأريب المتضرّع الذي لا تبطره السرّاء ولا تدهشه الضرّاء، كان هو داعي الحتف إلى نفسه، ولاسيمـا

إذا كان مثلك أيّها الملك العالم بفروض الأعمال ومواضع الشّدّة واللين والغضب والرضى والمعاجلة والأناة، النّاظر في أمر يومه وغده وعواقب أعماله.

قـــال الملك للغراب:

- بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويُمنِ طالعك كان ذلك، فإنّ رأى الرّجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدوّ من الجنود الكثيرة، من ذوي الباس والنّجدة والعدد والعدّة، وإنّ من عجيب أمرك عندي طول لبثك بين ظهراني البوم، تسمع الكلام الغليظ، ثم لم تسقط بينهنّ بكلمة.

قـــال الغراب:

- لم أزل متمسكا بادبك أيّها الملك، أصحب البعيد والقريب، بالرّفق واللّين والمبالغة والأناة.

قـــال الملك:

- أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل، ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل، ليس لها عاقبة حميدة، فقد منّ الله علينا بك منّة عظيمـة، لـم نكن قبلها نجد لـذّة الطّعـام والشرّاب، ولا النّوم ولا القرار. وكان يقال لا يجد المريض لذّة الطّعام والنّوم حتى يبرأ، ولا الرّجل الشّره الذي أطعمه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه له، ولا الرّجل الذي قد ألحّ عليه عـدوّه

وهـو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه، ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه، ومن أمن عدوّه ثلج صدره.

قـــال الغراب:

- أسال الله الذي أهلك عدوّك أن يمتّعك بسلطانك وأن يجعل في ذلك صلاح رعيّتك، ويشركهم في قرّة العين بملكك، فإنّ الملك إذا لم يكن في ملكه قرّة عيون رعيّته فمثله مثل زنمة العنز التي يمصّها الجدي، وهو يحسبها حلمة الضّرع فلا يصادف فيها خيرا.

قـــال الملك:

- أيّها الوزير الصّالح كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها، وفيما كانت فيه من أمورها؟.

قـــال الغراب:

- كانت سيرته سيرة بطر وشرّ وخيلاء، وعجـز وفخـر مـع مـا فيه من الصفات الذّميمة، وكلّ أصحابه ووزرائـه شبيـه بـه إلاّ الوزير الذي كان يشير عليه بقتلي فإنه كان حكيما أريبا، فيلسوفا حازما، قلما يرى مثله في علوّ الهمّة وكمال العقل وجودة الرأي.

قـــال الملك:

- وأيّ خصلة رأيت منه كانت أدلّ على عقله ؟.

قـــال:

- خصلتان إحداهما رأيه في قتلي، والأخرى أنه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وإن استقلّها، ولم يكن كلامه كلام عنف وقسوة، ولكنّه كلام رفق ولين، حتى إنّه ربّما أخبره ببعض عيوبه، ولايصرّح بحقيقة الحال، بل يضرب له الأمثال، ويحدّثه بعيب غيره، فيعرف عيبه، فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلا. وكان مما سمعته يقول لملكه إنّه قـــال:

- لا ينبغي للملك أن يغفل على أمره فإنـه أمـر جسيـم، لا يظفر به من الناس إلاّ قليل، ولا يدرك إلاّ بالحزم، فإنّ الملـك عزيز، فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه، فإنّه قد قيـل: إنّـه في قلّة بقائه بمنزلة قلّة بقاء الظّلّ عن ورق النيلوفر، وهـو في خفّة زواله وسرعة إقباله وإدباره كالرّيح، وفي قلّة ثباتـه كاللّبيب مع اللّئام، وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقـع المطر.

فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يُغتّر بهـم، وإن هم أظهروا تودّدا وتضرّعا.

باب
القرد والغيلم

eikandi.com

obeikandl.com

باب
القرد و الغيلم

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الرّجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها.

قـــال الفيلسوف:

- إنّ طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها، ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

قـــال بيدبا:

- زعموا أن قردا كان ملك القردة يقال له ماهر، وكان قد كبر

obeikandl.com

وهرم، فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلّب عليه وأخذ مكانه، فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى إلى السّاحل فوجد شجرة من شجر التين، فارتقى إليها وجعلها مُقامه، فبينما هو ذات يوم ياكل من ذلك التّين إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتا وإيقاعا، فجعل ياكل ويرمي في الماء فاطربه ذلك، فاكثر من طرح التّين في الماء، وثمّ غيلم كلما وقعت تينة أكلها، فلما كثر ذلك ظنّ أن القرد إنّما يفعل ذلك لأجله، فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلّمه وألف كلّ واحد منهما صاحبه.

وطالت غيبة الغيلم عن زوجته، فجزعت عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقـــالت:

- قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله، فقـــالت لها:

- إنّ زوجك في السّاحل قد ألف قردا وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذي قطعه عنك، ولا يقدر أن يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد.

قـــالت:

- وكيف أصنع ؟.

قـــالت جارتها:

- إذا وصل إليك فتمارضي فإذا سالك عن حالـك فقـولـي إنّ الحكماء وصفوا لي قلب قرد.

ثم إنّ الغيلم انطلق بعد مدّة إلى منزله فوجد زوجته سيّئة الحال مهمومة، فقـــال لها:

- ما لي أراك هكذا ؟.

فاجابته جارتها وقـــالت:

- إنّ زوجتك مريضة مسكينة، وقد وصف لها الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه.

قـــال الغيلم:

- هذا أمر عسير، من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء؟، ولكن ساحتال لصديقي.

ثم انطلق إلى ساحل البحر فقـــال له القرد:

- يا أخي ما حبسك عني ؟.

قـــال له الغيلم:

- ما حبسني عنك إلا حيائي فلم أعرف كيف أجازيك على إحسانك إليّ، وأريد أن تُتمّ إحسانك إليّ بزيارتك لي في منزلي، فإني ساكن في جزيرة طيّبة الفاكهة، فاركب ظهري لأسبح بك، فرغب القرد في ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى

إذا تغلغل في الماء عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه.

قـــال له القرد:

- ما لي أراك مهتما ؟.

قـــال الغيلم:

- إنّما همّي لأني ذكرت أن زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير ممّا أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك.

قـــال القرد:

- إنّ الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلّف.

قـــال الغيلم:

- أجـل.

ومضى بالقرد ساعة ثم توقّف به ثانية، فساء ظنّ القرد وقـــال في نفسه:

- ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلاّ لأمر، ولست آمنا أن يكون قلبه قد تغيّر لي وحال عن مودّتي فاراد بي سوءا، فإنه لا شيء أخفّ وأسرع تقلبا من القلب، وقد يُقال: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كلّ أمر وفي كلّ لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كلّ حال،

obeikandl.com

فإنّ ذلك كلّه يشهد على ما في القلوب، وقد قالت العلماء: إذا دخل قلب الصّديق من صديقه ريبة فلياخذ بالحزم في التّحفظ منه، وليتفقّد ذلك في لحظاته وحالاته، فإن كان ما يظنّ حقا ظفر بالسّلامة، وإن كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضرّه ذلك، ثم قال للغيلم:

- ما الذي يحبسك وما لي أراك مهتما كانك تُحدّث نفسك مرة أخرى؟.

قـــال:

- يهمّني أنّك تاتي منزلي فلا تجد أمري كما أحبّ لأنّ زوجتي مريضة.

قـــال القرد:

-لا تهتم فإنّ الهمّ لا يغني عنك شيئًا، ولكن التمس مـــا يُصلح زوجتك من الأدوية والأغذية، فإنه يقـــال: ليبذل ذوو المال مالهم في ثلاثة مواضع: في الصّدقة، وفي وقت الحاجة، وعلى النّساء.

قـــال الغيلم:

- صدقت، وقد قـــالت الأطبّاء إنّه لا دواء لها إلاّ قلب قرد، فقـــال القرد في نفسه:

- وا سوءتاه! لقد أدركني الحرص والشرّه على كبر سنّي

حتى وقعت في شرّ ورطة، ولقد صدق الذي قال يعيش القانع الرّاضي مستريحا مطمئنا وذو الحرص والشّره يعيش ما عاش في تعب ونصب. وإني قد احتجت الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه، ثم قال للغيلم:

- وما منعك أن تعلمني عند منزلي حتى كنت أحمل قلبي معي؟ فإن سنّة فينا معاشر القردة إذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلّف قلبه عند أهله أو في موضعه.

قـــال الغيلم:

- وأين قلبك الآن؟.

قـــال:

- خلّفته في الشّجرة فإن شئت فارجع بي إلى الشّجرة حتى آتيك به، ففرح الغيلم بذلك وقـــال:

- لقد وافقني صاحبي بدون أن أغدر به، ثم رجع بالقـرد إلـى مكانه، فلما قارب السّاحل وثب القرد على ظهره فارتقى الشّجرة، فلما أبطا على الغيلم ناداه:

- يا خليلي أحمل قلبك وأنزل فقد حبستني، فقـــال القـرد:

-هيهات! أتظنّ أني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن لـه قلب ولا أذنان.

oboeikandi.com

قـــال الغيلم:

- وكيف كان ذلك ؟.

مثل الأسد وابن آوى والحمار

قـــال القرد:

- زعموا أنه كان أسد في أجمة وكان معه ابن آوى ياكل مـن فضلات طعامه، فاصـاب الأسـد جـرب وضعُف ضعفا شديـدا وجهـد فلم يستطع الصّيد، فقـــال له ابن آوى:

- ما بالك يا سيّد السّباع قد تغيّرت أحوالك ؟.

قـــال:

- هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلاّ قلب حمار وأذناه.

قـــال ابن آوى:

- ما أيسر هذا، وقد عرفت بمكان كذا حمارا من قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به.

ثم دلف إلى الحمار فاتاه وسلّم عليه وقال له: ما لي أراك مهزولا؟.

obeikandi.com

قـــال:

- ما يطعمني صاحبي شيئًا، فقـــال له :

- كيف ترضى المقام معه على هذا الحال ؟.

قـــال:

- ما لي حيله للهرب منه فلست أتوجه إلى جهـة إلا أضـرّ بـي إنسان فكدّني وأجاعني.

قـــال ابن آوى:

- فانا أدلّك على مكان معزول عن النّاس لا يمرّ به إنسان، خصيب المرعى فيه قطيع من الحمر لم تر عين مثلها حسنا وسمنا.

قـــال الحمار:

- وما يحبسنا عنها ؟، فانطلق بنا إليها.

فانطلــق بــه نحـو الأسـد وتقـدّم ابـن آوى ودخـل الغابـة على الأسد وأخبره بمكان الحمار، فخرج إليه وأراد أن يثب عليه، فلـم يستطع لضعفه، وتخلّص الحمار منه فافلت هلعا على وجهـه.

فلما رأى ابن آوى أنّ الأسد لم يقدر على الحمار.

قـــال له:

- يا سيّد السّباع أعجزت إلى هذه الغاية؟، فقـــال له:

- إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبدا، فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له:

- ما الذي جرى عليك؟ إن أحد الحمر رآك غريبا، فخرج يتلقّاك مُرحبا بك، ولو ثبتّ له لآنسك، ومضى بك إلى أصحابه.

فلما سمع الحمار ذلك هاجت غلمته ونهق وأخذ طريقه إلى الأسد، فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له:

- استعد له فقد خدعته لك فلا يُدركنّك الضعف في هذه النّوبة، فإنّه إن أفلت لن يعود معي أبدا.

فجاش جاش الأسد لتحريض ابن آوى له، وخرج إلى موضع الحمار، فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها، ثم قال:

- قد ذكرت الأطبّاء أنه لا يؤكل إلاّ بعد الاغتسال والطهور، فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك قوتا لك.

فلمّا ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فاكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطيّر الأسد منه فلا ياكل منه شيئًا. ثم إن الأسد رجع إلى مكانه، فقال لابن آوى:

- أين قلب الحمار وأذناه ؟.

قــال ابن آوى:

- ألم تعلم أنّه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان. ولكنّك احتلت عليّ وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك فاستدركت فارط أمري، وقد قيل: إنّ الذي يفسده الحلم لا يصلحه إلاّ العلم.

قــال الغيلم:

- صدقت! إلا أنّ الرّجل الصالح يعترف بزلّته، وإذا أذنب ذنبا لم يستح أن يؤدّب لصدقه في قوله وفعله، وإن وقع في ورطة أمكنه التخلّص منها بحيلته وعقله، كالرّجل الذي يعثر على الأرض ثم ينهض وعليها يعتمد في نهوضه.

فهذا مثل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها.

Qdeikandi.com

باب
الناسك وابن عرس

o.b.eikandal.com

obeikandl.com

باب
الناسك و ابن عرس

قــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الرّجل العجلان في أمره من غير روية و لا نظر في العواقب.

قــال الفيلسوف:

- إنّه من لم يكن في أمره متثبّتا لم يزل نادما ويصير أمره إلى ما صار إليه النّاسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا.

قــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

obeikandl.com

قــال الفيلسوف:

- زعموا أن ناسكا مـن النّسّاك كـان بـارض جرجـان وكانـت له امرأة جميلة لها معه صحبة، فمكثا زمانا لـم يُرزقـا ولــدا، ثم حملت منه بعد الإياس، فسرّت الـمرأة وسـرّ النّاسك بذلك فحمـد الله تعالى وساله أن يكون الحمل ذكرا، وقــال لزوجته:

- أبشـري فإنـي أرجـو أن يكون غلامـا لنا فيـه منافع وقـرّة عين، أختار له أحسن الأسماء وأحضر له سائر الأدباء، فقـالت المرأة:

- مـا يحمـلك أيّـها الـرّجل على أن تـتكـلّم بما لا تـدري هـل يكون أم لا، و مـن فعل ذلك أصابه ما أصاب الـناسك الـذي أهرق على رأسه السّمن والعسل.

قــال لها:

-وكيف كان ذلك؟.

مثل الناسك المخدوع

قــالت:

- زعموا أن ناسكا كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كلّ يوم رزق من السّمن والعسل، وكان ياكل منه قوته وحاجته، ويرفع الباقي ويجعله في جرّة فيعلّقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت.

فبينما النّاسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكّازة في يده والجرّة معلقة فوق رأسه تفكّر في غلاء السّمن والعسل، فقــال:

- سابيع ما في هذه الجرة بدينار، وأشتري به عشر أعنز فيحلبن ويلدن في كل خمسة أشهر مرة، ولا تلبث إلا قليلا حتى تصير غنما كثيرا إذا ولدت أولادها.

ثم حرّر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز، فقــال:

- أنا أشتري بها مائة من البقر بكلّ أربع أعنز ثورا أو بقرة، وأشتري أرضا وبذرا وأستاجر أكرة وأزرع على الثيران وأنتفع بالبان الإناث ونتائجها، فلا تاتي عليّ خمس سنين إلاّ وقد أصبت

من الزرع مالا كثيرا، فابني بيتا فاخرا وأشتري إماء وعبيدا وأتزوّج امرأة جميلة ذات حسن وأدخل بها فتحبل ثم تاتي بغلام سريّ نجيب، فاختار له أحسن الأسماء، فإذا ترعرع أدّبته وأحسنت تاديبه وأشدّد عليه في ذلك، فإن قبل منّي وإلاّ ضربته بهذه العكازة وأشار بيده إلى الجرّة فكسرها فسال ما فيها على وجهه.

• وإنّما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره وما لا تدري أيصحّ أم لا يصحّ، فاتّعظ الناسك بما حكت زوجته.

ثم إنّ المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه، وبعد أيّام حان لها أن تتطهّر، فقالت المرأة للنّاسك:

- اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمّام فاغتسل وأعود.

ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلّفت زوجها والغلام، فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلّفه عند ابنه غير عرس داجن عنده كان قد ربّاه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه عند الصبّي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول، فخرج من بعض أجحار البيت حية سوداء فدنت من الغلام، فضربها ابن عرس ثم وثبت فقتلها ثم قطّعها وامتلأ فمه من دمها.

ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشّر له بما صنع من قتل الحيّة.

فلما رآه ملوّثا بالدّم وهو مذعور طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبّت في أمره ولم يتروّ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظنّ من ذلك، ولكن عجّل على ابن عرس وضربه بعكّازة كانت في يده على أمّ رأسه فمات.

ودخل النّاسك فرأى الغلام سليما وعنده أسود مقطّع. فلما عرف القصّة وتبيّن له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقـــال:

- ليتني لم أرزق هذا الولد، ولم أغدر هذا الغدر!.

ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال، فقـــالت له:

- ما شانك؟ فاخبرها الخبر من حُسن فعل ابن عرس وسوء مكافاته له، فقـــالت:

- هذه ثمرة العجلة، لأن الأمر إذا فرط مثل الكلام إذا خرج والسّهم إذا مرق لا مردّ له.

فهذا مثل لا يتثبّت في أمره بل يفعل أغراضه بالسّرعة والعجلة.

Obeikandl.com

obeikandl.com

باب
الجرذ والسنور

deikandi.com

obeikandl.com

باب
الجرذ والسنور

قــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كلّ جانب، فاشرف معهم على الهلاك فالتمس النّجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن، ثم وفّى لمن صالحه منهم، وأخبرني عن موضع الصلح وكيف ينبغي أن يكون؟.

قــال الفيلسوف:

- إن المودّة والعداوة لا تثبتان على حالة أبدا، وربما حالت المودّة على العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة، ولهذا حوادث وعلل وتجارب. وذو الرأي يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيـا

obeikandi.com

جديدا، فامّا من قبل العدوّ فبالباس، وأمّا من قبل الصديق فبالاستئناس، ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مرهوب أو جرّ مرغوب. ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته، ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدّة.

قـــال الملك:

- كيف كان ذلك؟.

قـــال بيدبا:

- زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي: وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون، وكان الصّيادون كثيرا ما يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطّير.

فنزل ذات يوم صيّاد فنصب حبالته قريبا مـن موضـع رومـي فلم يلبث أن وقع فيها، فخرج الجرذ يدبّ ويطلب مـــا ياكل وهـو حذر من رومي. فبينما هو يسعى إذ بصر به فــي الشّرك فسرّ واستبشر، ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفي الشجرة بوما يريد اختطافه، فتحيّر في أمره وخـاف، إن رجع وراءه أخذه ابن عرس وإن ذهـب يمينا أو شمـالا اختطفه

obeikandi.com

البوم، وإن تقدّم أمامه افترسه السنور، فقـال في نفسه:

- هذا بلاء قد اكتنفني وشرور تظاهرت عليّ ومحن قد أحاطت بي، وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري ولا يهولنّي شاني ولا يلحقني الدّهش ولا يذهب قلبي شعاعا، فالعاقل لا يفرّق عند سداد رأيه ولا يعزب عنه ذهنه على الحال، وإنّما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره، ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه، وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمى عليه أمره، ولست أرى لي من هذا البلاء مخلصا إلاّ مصالحة السّنّور، فإنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه، ولعلّنا إن سمع كلامي الذي أكلّمه به ووعى عنّي صحيح خطابي ومحض صدقي الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي إيّاه خلصنا جميعا.

ثم إن الجرذ دنا من السّنّور ، فقـال له:

- كيف حالك؟.

قـال له السّنّور:

- كما تحبّ في ضنك وضيق.

قـال:

- وأنا اليوم شريكك في البلاء، ولست أرجو لنفسي خلاصا إلاّ بالذي أرجو لك فيه الخلاص، وكلامي هذا ليس فيه

كذب ولا خديعة، وابن عرس ها هو كامن لي والبوم يرصدني، وكلاهما لي ولك عدوّ، فإن أنت جعلت لي الأمان قطعت حبائلك وخلّصتك من هذه الورطة، فإن كان ذلك تخلّص كلّ واحد منّا بسبب صاحبه، كالسّفينة والرّكاب في البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة.

فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قــال له:

- إنّ قولك هذا لشبيه بالحق، وأنا أيضا راغب فيما أرجو لك ولنفسي به الخلاص، ثم إني إن فعلت ذلك ساشكرك ما بقيت.

قــال الجرذ:

- فإني سادنو منك فاقطع الحبائل كلها إلاّ حبلا واحدا أبقيه لاستوثق لنفسي منك، ثم أخذ في تقريض حبائله، ثم إن البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا.

ثم إن الجرذ أبطا على رومي في قطع الحبائل فقال له:

- مالي لا أراك جادا في قطع حبائلي؟ فإن كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت في حاجتي فما ذلك من فعل الصّالحين، فإن الكريم لا يتوانى في حقّ صاحبه، وقد كان لك في سابق مودّتي من الفائدة والنّفع ما قد رأيت، وأنت حقيق أن تكافئني بذلك ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك، فالذي حدث بيني وبينك من الصلّح حقيق أن يُنسيك

ذلك م ما في الوفاء من الفضل والأجر وما في الغـدر من سـوء العاقبة، فإنّ الكريم لا يكون إلاّ شكورا غير حقود تنسيـه الخلّة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة، وقـد يُقـال: إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر، ومن إذا تضرّع إليه وسئـل العفـو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر.

قـال الجرذ:

- إنّ الصّديق صديقان، طامع ومضطرّ، وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرّة، فامّا الطّامع فيسترسل إليـه ويؤمن في جميع الأحوال، وأمّا المضطرّ ففي بعض الأحوال يسترسل إليه وفي بعضها يتحذّر منه، ولا يـزال الـعاقـل يرتهـن منه بعض حاجاته لبعض ما يتّقي ويخاف، وليس غاية التّواصل من كل من المتواصلين إلاّ طلب عاجل النّفع وبلوغ مامـولـه. وأنـا واف لك بما وعدتك ومُحترس منك مع ذلك من حيث أخافك، تخوّف أن يُصيبني منك ما ألجاني خوفه إلى مصالحتك، وألجاك إلى قبول ذلك منّي، فإن لكلّ عمل حينا فما لم يكن في حينه فلا حسن لعاقبته، وأنا قاطع حبائلك كلّها، غيـر أنـي تارك عقدة أرتهنك بها، ولا أقطعها إلاّ في السّاعة التي أعلـم أنـك فيها عني مشغول وذلك عند معاينتي الصياد.

ثم إنّ الجرذ أخذ في قطع حبائل السّنّور، فبينما هو كذلك إذ وافى الصّيّاد، فقال له السّنّور:

- الآن جاء الجدّ في قطع حبائلي، فجهد الجرذ نفسه في القرض حتى إذا فرغ وثب السنّور إلى الشجرة على دهش من الصيّاد، ودخل الجرذ بعض الأجحار وجاء الصّيّاد فاخذ حبائله مقطّعة ثم انصرف خائبا.

ثم إنّ الجرذ خرج بعد ذلك وكره أن يدنو من السّنّور فناداه السّنّور:

- أيّها الصّديق النّاصح ذو البلاء الحسن عندي، ما منعك من الدنوّ إليّ لأجازيك باحسن ما أسديت إليّ؟، هلمّ إليّ ولا تقطع إخائي فإنّه من اتّخذ صديقا وقطع إخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة إخائه وأيس من نفعه الإخوان والأصدقاء، وإنّ يدك عندي لا تُنسى وأنت حقيق أن تلتمس مكافاة ذلك منّي ومن إخواني وأصدقائي ولا تخاف منيّ شيئًا، واعلم أنّ ما قِبَلِي لك مبذول.

ثم حلف واجتهد على صدقه.

فناداه الجرذ:

- رُبّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشدّ

من العداوة الظّاهرة، ومن لم يحترس منها وقع موقع الـرّجل الـذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النّعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه ويقتله. وإنّما سميّ الصّديق صديقا لما يُرجى من نفعه، وسمّي العدوّ عدوّا لما يُخاف من ضرره، والعاقل إذا رجا نفع العدوّ أظهر له الصّداقة، وإذا خاف ضرّ الصّديق أظهر له العداوة. ألا ترى تتبّع البهائم أمّهاتها رجاء ألبانها فإذا انقطع عنها انصرفت عنها؟ وربما قطع الصّديق عن صديقه بعض ما كان يصله منه، فلم يخف شرّه لأنّ أصل أمره لم يكن عداوة. فامّا من كان أصل أمره عداوة جوهريّة ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك، فإنّه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحوّلت وصارت إلى أصل أمره، كالماء الذي يسخن بالنّار فإذا رفع عنها عاد باردا، وليس من أعدائي عدوّ أضرّ لي منك، وقد اضطرّني وإيّاك حاجة إلى ما أحدثنا من المصالحة، وقد ذهب الأمر الذي احتجت إليّ واحتجت إليك فيه، وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة.

ولا خير للضّعيف في قرب العدوّ القويّ ولا للذليل في قرب العدوّ العزيز، ولا أعلم لك قبلي حاجة إلاّ أن تكون تريد أكلي، وليس عندي بك ثقة، فإني قد علمت أن الضّعيف المحترس من العدوّ القويّ أقرب إلى السّلامة من القويّ إذا اغترّ بالضّعيف

واسترسل إليه، والعاقل يصالح عدوّه إذا اضطرّ إليه، ويُصانعه ويظهر له ودّه، ويُريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بُدًّا، ثم يُعجّل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلا.

وأعلم أنّ سريع الاسترسال لا تقـال عثرته، والعاقـل يفـي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه، ولا يثق بـه كـلّ الثّقة ولا يامنه على نفسه مع القرب منه، وينبغي أن يبعد عنـه مـا استطاع، وأنا أودّك من بعيد وأحبّ لك من البقاء والسّلامة ما لـم أكن أحبّه لك من قبل، وليس علـيك أن تجازيني على صنيعي إلاّ بمثل ذلك، إذ لا سبيل إلى اجتماعنا والسّلام.

Obeikandi.com

باب

الملك والطائر قبَرة

obeikandl.com

باب
الملك و الطائر قبّرة

قــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل أهل التراث الذين لابدّ لبعضهم من اتقاء بعض.

قــال بيدبا:

- زعموا أن ملكا من ملوك الهند يقــال له برهمود، كان لـه طائر يقــال له قبرّة، وكان له فرخ، وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان باحسن منطق، وكان الملك بهما معجبا، فامر بهما أن يُجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما، واتفق أنّ امرأة الملك ولدت غلاما فالف الفرخ الغلام فجعلا يلعبان جميعا ويطعمان جميعا.

obeikandl.com

وكان قبّرة يذهب إلى الجبل كلّ يوم فياتي بفاكهة لا تُعرف فيطعم ابن الملك شطرها، ويطعم فرخه شطرها، فاسرع ذلك في نشاتهما وشبابهما وبان عليهما أثره عند الملك، فازداد لقبّرة إكراما وتعظيما ومحبّة.

حتى إذا كان يوم من الأيّام وقبّرة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام حدث من الفرخ ما أغضب الغلام فاخذه فضرب به الأرض فمات. ثم إنّ قبّرة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقـــال:

- قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء، ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا حميّة لهم، ولا حرمة ولا يحبّون أحدا، ولا يكرم عليهم إلاّ إذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا إلى ما عنده من علم، فيكرمونه لذلك، فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ودّ ولا إخاء ولا إحسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حقّ، هـم الذين أمرهم مبنيّ على الرّياء والفجور، وهم يستصغرون مـا يرتكبونه من عظيم الذنوب، ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم، ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له، الغادر بإلفه وأخيه.

ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقا عينيه، ثم طار فوقف على شجرة عالية.

وبلغ الملك ذلك فجزع أشدّ الجزع، ثم طمع أن يحتال لـه فوقف قريبا منه وناداه وقـــال له:

- إنّك آمن فانزل يا قبّرة، فقـــال لـــه:

- أيّها الملك إنّ الغادر ماخوذ بغدره، وإنّه وإن أخطاه عاجل العقوبة لم يُخطئه الآجل، حتى إنه يدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب، وإنّ ابنك غدر بابني فعجلّت له العقوبة.

قـــال الملك:

- لعمري قد غدرنا بابنك فانتقمت منّا فليس لك قبلنا، وليس لنا قبلك وتر مطلوب، فارجع إلينا آمنا ولا تخف.

قـــال قبّرة:

- لست براجع إليك أبدا فإنّ ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور فإنّه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمه إيّاك إلاّ وحشة منه وسوء ظنّ به، فإنّك لا تجد للحقود الموتور أمانا هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البُعد عنه، والاحتراس منه أولى.

وقد كان يقـــال: إنّ العاقل يعدّ أبويه أصدقاء، والإخوة رفقاء والأزواج ألفاء، والبنين ذكرا والبنات خُصماء، والأقارب غرماء ويعدّ

نفسه فريدا وحيدا، وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزوّدت من عندكم من الحزن عبئًا ثقيلا لا يحمله معي أحد، وأنا ذاهب فعليك منّي السّلام.

قـــال الملك:

- إنّك لو لم تكن قد اجتزيت منّا فيما صنعناه بك، أو كان صنيعك بنا من غير ابتداء منّا بالغدر كان الأمر كما ذكرت، أمّا ونحن قد بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا؟ هلـمّ فارجع فإنّك آمن.

قـــال قبّرة:

- أعلم أنّ الأحقاد لها في القلوب مواقع ممكنة موجعة. فـالألسن لا تصدق في خبرها عـن القلوب، والقلب أعدل شهادة عـن اللّسان مـن اللّسان على القلب، و قـد علمت أنّ قلـبي لايشهد للسانك ولا قلبك للساني.

قـــال الملك:

- ألا تعلم أن الضّغائن والأحقاد تكون بين كثير من النّاس، فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته؟.

قـــال قبّرة:

- إنّ ذلك لكما ذكرت، ولكن لا ينـبغي لـذي الـرأي مـع ذلك

أن يظنّ أنّ الموتور ناس ما وُتر به، ولا مصروف عنه، وذو الرأْي يتخوّف المكر و الخديعة و الحيل، ويعلم أنّ كثيرا من العدوّ لا يُستطاع بالشدّة والمكابرة حتى يصاد بالرّفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشيّ بالفيل الدّاجن.

قــال الملك:

- إنّ العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيّع الحفاظ وإن هو خاف على نفسه، حتى أنّ هذا الخلق يكون في أوضع الدّواب منزلة، فقد علمت أنّ اللعّابين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها وياكلونها، ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك فيمنعه من مفارقتهم ألفته إيّاهم.

قــال قبّرة:

- إنّ الأحقاد مخوفة حيث كانت، فاخوفها وأشدّها ما كان من أنفس الملوك، فإنّ الملوك يدينون بالانتقام، ويرون الدّرك والطلب بالوتر مكرمة وفخرا، وإنّ العاقل لا يغترّ بسكون الحقد إذا سكن، فإنّما مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محرّكا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا، فليس ينفكّ الحقد مطلعا إلى العلل كما تبتغي النّار الحطب، فإذا وجد علّة استعر استعار النّار فلا يُطفئه حسن كلام ولا لين ولا خضوع، ولا تضرّع ولا مصانعة، ولاشيء دون تلف الأنفس، وذهاب الأرواح، مع أنّه رُبّ واتر

يطمع في مراجعة الموتور لما يرجو أن يقدر عليه من النفع لــه والدّفع عنه، ولكنّي أنا أضعف من أن أقدر على شيء يذهب بـه ما في نفسك، فلو كانت نفسك منطوية لي على ما تقول، مـا كان ذلك عنّي مُغنيا، ولا أزال في خوف ووحشة وسـوء ظـنّ مـا اصطحبنا، فليس الرأي بيني وبينك إلا الفراق وأنا أقرأ عليك السّلام.

قـــال الملك:

- لقـد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرا ولا نفعا، وأنـه لاشيء من الأشياء صغيرا ولا كبيرا يصيب أحدا إلاّ بقضاء وقدر معلوم، وكما أنّ خلق ما يخلق وولادة ما يُولد وبقاء ما يبقى ليس للخلائق منه شيء، كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك، وليس لك في الذي صنعت بابني ذنب ولا لابني فيما صنع بابنك ذنب، وإنّما كان ذلك كلّه قدرا مقدورا وكلانا له علّة فلا نؤاخذ بما أتانا به القدر.

قـــال قـبّرة:

- إنّ القدر لكما ذكرت، لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقّي المخاوف والاحتراس من المكاره، وإلاّ كان المريض غير مُصيب فـي طلبه الطبيب، وكان أهل المصائب يتركون النظر فيما فيه الفرج لهم، ولا ينفع الحذر والاحتراس مع القضاء، لكن العاقل يجمع

openikandi.com

مع التصديق بالقدر الأخذ بالحزم والقوة، وأنا أعلم أنك تكلمني بغير ما في نفسك، والأمر بيني وبينك غير صغير، لأنّ ابنك قتل ابني وأنا فقات عين ابنك، وأنت تريد أن تشتفي بقتلي وتختلني عن نفسي والنّفس تابى الموت. وقد كان يقـــال: الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدوّ بلاء وفراق الأحبّة بلاء والسّقم بـلاء والهرم بلاء ورأس البلايا كلّها الموت. وليس أحد باعلم بما فـي نفس الموجع الحزين ممن ذاق مثل ما به، فانا بما في نفسي عالم بما في نفسك للمثل الذي عندي من ذلك، ولا خير لـي فـي صحبتك، فإنك لن تتذكر صنيعي بابنك، ولن أتذكّر صنيع ابنك بابني، إلاّ أحدث ذلك لقلوبنا تغييرا.

قـــال الملك:

- لا خير في من لا يستطيع الإعراض عمّا في نفسه حتى ينساه ويُهمله، فلا يذكر منه شيئًا، ولا يكون له في نفسه موقع.

قـــال قـبّـرة:

- إن الرّجل الذي في باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشي لا بدّ أن تُنكا قرحته، والرّجل الأرمد العين إذا استقبل بها الرّيح تعرّض لأن تزداد رمدا، وكذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرّض نفسه للهلاك.

ولا ينبغي لصاحب الدّنيا إلا توقّي المهالك والمتآلف، وتقدير الأمور، وقلّة الاتّكال على الحول والقوة، وقلّة الاغترار بمن لا يامن. فإنّه من اتّكل على قوّته فحمله ذلك على أن يسلك الطّريق المخوف قد سعى في حتف نفسه، ومن لا يقدّر لطاقته طعامه وشرابه، وحمّل نفسه ما لا تطيق، ولا تحمل فقد قتل نفسه، ومن لم يقدّر لقمته وعظّمها فوق ما يسع فاه فربّما غصّ بها فمات، ومن اغترّ بكلام عدوّه وانخدع له وضيّع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوّه، وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما ياتيه منه، ولا ما يصرف عنه. ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوّة، ومحاسبة نفسه في ذلك.

والعاقل لا يثق باحد ما استطاع، ولا يقيم على خوف يجد عنه مذهبا، وأنا كثير المذاهب، وأرجو أن أذهب وجها إلاّ أصبت فيه ما يغنيني.

فإنّ خلالا خمسا من تزوّدهنّ كَفينَهُ في كلّ وجه، وآنسْنَه في كلّ غربة، وقرّبن له البعيد، وأكسبنه المعاش والإخوان. أولاهنّ: كفّ الأذى، والثانية حسن الأدب، والثالثة مجانبة الرّيب، والرّابعة كرم الخلق، والخامسة النّيل من العمل.

وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئًا طابت نفسه عن المال والأهل والولد والوطن، فإنّه يرجو الخلف من ذلك كلّه، ولا يرجو عن النّفس خلفا، وشرّ المال ما لا إنفاق منه، وشرّ الأزواج التي لاتؤاتي بعلها، وشرّ الولد العاصي العاق والديه، وشرّ الإخوان الخاذل لأخيه عند النكبات والشّدائد، وشرّ الملوك الذي يخافه البريء، ولا يواظب على حفظ أهل مملكته، وشرّ البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن، وإنّه لا أمن لي عندك أيّها الملك، ولا طمانينة لي في جوارك، ثم ودّع الملك وطار.

فهذا مثل ذوي الأوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض.

openkandil.com

obeikandl.com

باب

الأسد وابن آوى الناسك

books4arab.com

obeikandl.com

باب

الأسد وابن آوى الناسك

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الملك الذي يُراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب.

قـــال الفيلسـوف:

- إنّ الملك لو لم يراجـع من أصابته منه جفـوة عـن ذنـب أو عن غير ذنب، ظُلم أو لم يظلم لأضرّ ذلك بالأمور، ولكنّ الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلي في ذلك، ويخبر ما عنده من المنافع، فإن كان ممّن يوثق به في رأيه وأمانته فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته، فإنّ الملك لا يُستطاع ضبطه إلا مـع ذوي الـرأي، وهـم الـوزراء والأعـوان، ولا ينتـفـع بالـوزراء والأعـوان

إلاّ بالمودّة والنصيحة، ولا مودّة ولا نصيحة إلاّ لذوي الرأي والعفاف.

وأعمال السلّطان كثيرة، والذين يحتاج إليهم من العمّال والأعوان كثيرون، ومن يجمع منهم ما ذكرت من النّصيحة والعفاف قليل، والمثل في ذلك مثل الأسد وابن آوى الناسك.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

قـــال الفيلسوف:

- زعموا أن ابن آوى كان بارض كذاو كذا، وكان متزهّدا متعفّفا مع بنات آوى وذئاب وثعالب، ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يُغير كما يُغرن ولا يُهرق دما ولا ياكل لحما ولا يظلم طرفة عين، فخاصمته تلك السّباع وقلن: لا نرضى بسيرتك ولا رأيك الذي أنت عليه من تزهّدك مع أنّ تـزهّـدك لا يغني عنك شيئًا، وأنت لا تستطيع أن تكون إلاّ كاحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا، فما الذي كفّك عن الدّماء وعن أكل اللّحم؟.

قـــال ابن آوى:

- إن صحبتي إيّاكن لا تؤثمني إذا لم أؤثّم نفسي، لأنّ الآثام ليست من قبل الأماكن والأصحاب، ولكنها من قبل القلوب والأعمال، ولو كان صاحب المكان الصّالح يكون عمله فيه صالحا،

obeikandi.com

وصاحب المكان السيئ يكون عمله فيه سيّئا كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه لم ياثم، ومن استحياه في معركة القتال أثم، وإنّي إنّما صحبتكنّ بنفسي ولم أصحبكنّ بقلبي وأعمالي، لأني أعرف ثمرة الأعمال فلزمت حالي.

وثبت ابن آوى على حاله تلك، واشتهر بالنّسك والتزهّد، حتى بلغ ذلك أسدا كان ملك تلك الناحية، فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنّزاهة والأمانة، فارسل إليه يستدعيه، فلما حضر كلّمه وآنسه، ثم دعاه بعد أيّام إلى صحبته وقـــال له:

- تعلم أنّ عمّـالي كثير وأعواني جمّ غفير و أنا مع ذلك إلــى الأعوان محتاج، وقد بلغني عنك عفاف وأدب وعقل ودين، وقد اختبرتك فوجدتك كذلك فازددت فيك رغبة، وأنا مولّيك مـن عملي جسيما ورافعك إلى منزلة شريفة وجاعلك مـن خاصّتي.

قـــال ابن آوى:

- إنّ الملوك أحقاء باختيار الأعوان فيما يهتمّون به مـن أعمالهم وأمورهم، وهم أحرى أن لا يكرهوا على ذلك أحدا، فإنّ المكره لا يستطيع المبالغة في العمل، وإنّي لعمل السلّطان كاره، وليس لي به تجربة، ولا بالسّلطان رفق، وأنت ملك السّباع وعندك

من أجناس الوحوش عدد كثير، فيهم أهل نبل وقوة، ولهم على العمل حرص، وعندهم به وبالسلطان رفق، فإن استعملتهم أغنوا عنك، واغتبطوا لأنفسهم بما أصابهم من ذلك.

قـــال الأسد:

- دع عنك فإني غير مُعفيك من العمل.

قـــال ابن آوى:

- إنّما يستطيع خدمة السلّطان رجلان لست بواحد منهما: إمّا فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته، وإمّا مغفّل لا يحسده أحد، فمن أراد أن يخدم السلّطان بالصّدق والعفاف غير خالط ذلك بمصانعته فقلّ أن يسلم على ذلك، لأنّه يجتمع عليه عدوّ السلّطان وصديقه بالعداوة والحسد، أمّا الصّديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه فيها ويعاديه لأجلها، وأمّا عدوّ السلّطان فيضغن عليه لنصيحته لسلطانه وإغنائه عنه فإذا اجتمع عليه هذان الصّنفان فقد تعرّض للهلاك.

قـــال الأسد:

- لا يكوننّ بغي أصحابي عليك وحسدهم إيّاك مما يعرض في نفسك، فانت معي وأنا أكفيك ذلك، وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همّتك.

قــال ابن آوى:

- إن كان الملك يريد الإحسان إلـيّ فليدعـنـي في هـذه البريّـة أعيش آمنا، قليل الهمّ راضيا بعيشي من الـماء والعشب، فإنّـي قد علمت أن صاحب السلّطان يصل إليه من الأذى والخوف فـي ساعة واحدة ما يصل إلى غيره في طول عمره، وإنّ قليلا مـن العيش في أمن وطمانينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب.

قــال الأسـد:

- قد سمعت مقــالتك فلا تخف شيئًا ممّا أراك تخاف منه، ولست أجد بدا من الاستعانة بك في أمري.

قــال ابن آوى:

- أمّا إذا أبى الملك إلاّ ذلك فليجعل لي عهدا، إن بغى عليّ أحد من أصحابه ممّن هو فوقي مخافة على منزلته، أو ممن هو دوني لينازعني في منزلتي، فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه، أو على لسان غيره، ما يريد تحميل الملك عليّ أن لا يعجل في أمري، وإن يتثبت فيما يُرفع إليه، ويذكر عنده من ذلك، ويفحص عنه، ثم ليصنع ما بدا له، فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يحب إطاعة له وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد، وحرصت على أن أجعل له على نفسي سبيلا.

openkandi.com

قــال الأسد:

- لك عليّ ذلك وزيادة.

ثم ولاّه خزائنه واختصّ به دون أصحابه وزاد في كرامته.

فلمّا رأى أصحاب الأسد ذلك غاظهم وساءهم، فاجمعوا كيدهم واتّفقوا كلهم على أن يحمّلوا عليه الأسد.

وكان الأسد قد استطاب لحما فعزل منه مقدارًا وأمر ابن آوى بالاحتفاظ به، وأن يرفعه في أحصن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه، فاخذوه من موضعه وحملـوه إلى بيت ابن آوى فخبـاوه ولا علم له به، ثم حضروا يكذّبوه إذا جرت في ذلك حال.

فلما كان من الغد دعا الأسد بغذائه ففقد ذلك اللّحم والتمسه فلم يجده. وابن آوى لم يشعر بما صُنع في حقّه مـن المكيدة، فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا في المجلس، ثـمّ إنّ الملك سال عن اللّحم وشدّد فيه، وفي السؤال عنه فنظر بعضهم إلى بعض، فقــال أحدهم قول المخبر النّاصح:

- إنّه لا بدّ لنا أن نخبر الملك بما يضرّه وينفعه، وإن شقّ ذلك على من يشقّ عليه، وإنّه بلغني أن ابن آوى هو الذّي ذهب باللّحم إلى منزله لياكله دون الملك.

قـــال الآخـر:

- لا أراه يفعل هذا، ولكن انظروا وافحصوا فإنّ معرفة الخلائق شديدة، فقـــال الآخـر:

- لعمري ما تكاد السّرائر أن تُعرف، وأظنّكم إن فحصتم عـن هذا وجدتم اللّحم في بيت ابن آوى، وكلّ شيء يذكر مـن عيوبه وخيانته نحن أحقّ أن نصدّقه.

قـــال الآخر:

- لئن وجدنا هذا حقا فليست بالخيانة فقط، ولكن مع الخيانة كفر النّعمة والجرأة على الملك.

قـــال الآخر:

- أنتم أهل العدل والفضل لا أستطيع أن أكذّبكم، ولكن سيبين هذا لو أرسل إلى بيته من يفتّشه.

قـــال الآخر:

- إن كان الملك مفتّشا منزله فليعجّل فإن عيونه وجواسيسه مبثوثة بكلّ مكان.

ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع في الأسد ذلك، فامر ابن آوى فحضر.

فقـــال له:

- أين اللّحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به؟.

قـــال:

- دفعته إلى صاحب الطّعام ليقربه إلى الملك.

فدعا الأسد بصاحب الطعام، وكان ممّن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى فقـــال:

- ما دفع إليّ شيئًا، فارسل الأسد أمينا إلى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللّحم، فاتى به إلى الأسد، فدنا من الأسد ذئب لم يكن يتكلّم في شيء من ذلك، وكان يظهر أنّه من العدول الذين لا يتكلّمون فيما لا يعلمون حتى يتبيّن لهم الحقّ.

فـقـــال:

- بعد أن اطّلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفونّ عنه، فإنّه إن عفا عنه لم يطّلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب.

فامر الملك بابن آوى أن يخرج ويُحتفظ به، فقـــال بعض جلساء الملك:

- إنّي لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور، كيف يخفى عليه أمر هذا، ولم يعرف خبّه ومخادعته، وأعجب من هذا أنـــي أراه سيصفح عنه بعد الذي ظهر منه.

obeikandl.com

فارسل الأسد بعضهم إلى ابن آوى يلتمس منه العُذر، فرجع إليه الرّسول برسالة كاذبة اختلقها، فغضب الأسد من ذلك، وأمر بابن آوى أن يُقتل، فعلمت أمّ الأسد أنه قد عجل في أمره، فارسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخّروه، ودخلت على ابنها، فقـــالت:

- يا بنيّ، بايّ ذنب أمرت بقتل ابن آوى؟ فاخبرها بالأمر، فقـــالت:

- يا بنيّ عجلت، وإنّما يسلم العاقل من النّدامة بترك العجلة وبالتثبّت، والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة النّدامة، بسبب ضعف الرأي، وليس أحد أحوج إلى التّؤدة والتثبّت من الملوك، فإنّ المرأة بزوجها، والولد بوالديه، والمتعلّم بالمعلّم، والجند بالقائد والناسك بالدّين، والعامّة بالملوك، والملوك بالتّقوى، والتّقوى بالعقل، والعقل بالتثبّت والأناة، ورأس الكلّ الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزالهم منازلهم على طبقاتهم، واتّهامه بعضهم على بعض، فإنه لو وجد بعضهم إلى هلاك بعض سبيلا لفعل.

وقد جرّبت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروءته ثم لم تزل مادحا له راضيا عنه، وليس ينبغي للملك أن يخوّنه بعد ارتضائه إيّاه وائتمانه له، ومنذ مجيئه إلى الآن لم يطلع له على خيانـة

إلاّ على العفّة والنصيحة، وما كان من رأي الملك أن يعجل عليه لأجل طابق لحم.

وأنت أيّها الملك حقيق أن تنظر في حال ابن آوى، وتعلم أنه لم يكن يتعرّض للحم ولا ياكله، فكيف للحم استودعته إيّاه، ولعلّ الملك إن فحص عن ذلك ظهر له أنّ ابن آوى له خصماء، هم الذين ائتمروا بهذا الأمر وهم الذين ذهبوا باللّحم إلى بيته فوضعوه فيه، فإنّ الحدأة إذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطّير، والكلب إذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب، وابن آوى منذ كان إلى اليوم نافع، وكان محتملا لكلّ ضرر في جنب منفعة تصل إليك، ولكل عناء يكون لك فيه راحة، ولم يكن يطوي دونك سرّا.

فبينما أمّ الأسد تقصّ عليه هذه المقـــالة إذ دخل عليه بعض ثقاته فاخبره ببراءة ابن آوى.

فقـــالت أمّ الأسد:

- إن الـمـلـك بعد أن اطّلع عـلـى بـراءة ابـن آوى حـقـيـق أن لا يتساهل مع من سعى به لئلاّ يتجرّؤوا على ما هو أعظم من ذلك، بل يعاقبهم عليه، لكي لا يعودوا إلى مثله، ولا تحتقـر مـا فعلوا معك، فإن العشب وإن كان لا قوة له يُصنع منه الحبل الذي يُوثق به الفيل، فإنّه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمـر

الكفور للحسنى، الجريء على الغدر الزّاهد في الخير الذي لا يوقن بالآخرة، وينبغي أن يُجزى بعمله.

وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة، ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير، والأولى لك أن تُراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤنسنّك من مناصحته ما فرط منك إليه من الإساءة، فإنّ من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال وهو من عُرف بالصّلاح والكرم وحُسن العهد والشّكر والوفاء والمحبّة للنّاس والسّلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للإخوان والأصحاب وإن ثقلت عليه منهم المؤونة.

و أمّا من ينبغي تركه فهو من عرف بالشّراسة ولؤم العهد وقلّة الشّكر، والوفاء والبعد عن الرّحمة والورع، واتّصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها، وقد عرفت ابن آوى وجرّبته وأنت حقيق بمواصلته.

فدعا الأسد بابن آوى واعتذر إليه ممّا كان منه ووعده خيرا وقال:

- إنّي معتذر إليك، ورادّك إلى منزلتك، فقال ابن آوى:

- أو ليس هذا الذي خفت منه في أوّل اتصالي بك، والذي لأجله امتنعت مما عرضته عليّ من صحبتك، وتولي

obeikandi.com

خدمتـك؟ وإنّ شرّ الأخـلاّء مـن التمس منفعة نفسه بضرّ أخيه، ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه، أو كان يريد أن يرضيه، بغير الحق لأجل اتبّاع هواه، وكثيرا ما يقع ذلك بين الأخلاّء.

وقد كان من الملك إليّ ما علـم، ولا ينبغـي أن يطمئـن إلـى مـن عاقبه أشد العقوبة من نـزعـه من عمله أو أخذ مالـه بغيـر ذنـب، أو من كان للكرامة أهلا فلـم يعرف له ذلك، ولم يعطه مـا هو أهله، أو كان مظلوما ولـم ينظـر في أمره، أو كان مـن أهل الطمع فلم يصب ما يرجوه، أو كان بين قوم اجترموا جريمـة هـو منها بريء، فـاخذ هـو بهـا مـن بينهم وخلي سبيلهم، فامثال هؤلاء لا ينبغـي للملك أن يصحبهـم، وأنـا أيّهـا الملك أحد هؤلاء، فلعلّ الملك يقول: إن ابن آوى لا ينسـى الـذي لقيـه من الهوان فيقتص مني، وأنا يعلم الله أن ليس فـي قلبي شـيء من قبل هذا، وإنّما خوفي أن يفعلوا بـي ذلـك مرة أخـرى. فلا يغلظنّ على نفس الملك ما أخبـره أنـي بـه غير واثـق، وأنه لا ينبغي لي أن أصحبـه، فإنّ المـلك لاينبغي له أن يصحب من كـان مثلـي، ولا ينبغي له أن يرفضه أصلا، فـإنّ ذا السّلطـان إذا عُزل كان مستحقـا للكـرامة فـي حـال

إبعـاده والإقصاء لـه. فـلم يلتفت الأسد إلى كلامــه، ثــم قـال لــه:

- إنّي قد بلوت طباعك وأخلاقك وجرّبت أمانتك ووفاءك وصدقك، وعرفت كذب من ما حل بك، وإنّي منزلك من نفسي منزلة الأخيار الكرماء، والكريم تنسيه الخلّة والواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة، وقد عُدنا إلى الثّقة بك فعد إلى الثّقة بنا، فإنّ لنا ولك بذلك غبطة وسرورا.

فعاد ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي، وضاعف له الملك الكرامة، ولم تزده الأيام إلا تقرّبا من السلّطان.

obeikandl.com

obeikandl.com

باب
اللبوءة والإسور والشعر

obeikandl.com

باب
اللبوءة و الإسوار و الشعهر

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثلا في شان من يدع ضرّ غيره إذا قدر عليه، لما يصيبه من الضرر، ويكون له مما ينزل به واعظ، وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره.

قـــال الفيلسوف:

- إنّه لا يُقدم على طلب ما يضرّ بالنّاس وما يسوءهم إلا أهل الجهالة والسّفه، وسوء النظر في العواقب من أمور الدّنيا والآخرة، وقلّة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النّقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا، مما لا تحيط به العقول،

obeikandi.com

وإن سلم بعضهم من ضرر بعض باتفاق عرضت له قبل أن ينزل به وبال ما صنع، فإنّ من لم يفكر في العواقب لم يامن المصائب، وحقيق أن لا يسلم من المعاطب، وربّما اتّعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرّة من الغير فارتدع عن أن يغشى أحد بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل له نفع ما كفّ عنه من ضرره لغيره في العاقبة. فنظير ذلك حديث اللّبوءة و الإسور والشعّهر.

قال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

قال الفيلسوف:

- زعموا أن لبوءة كانت في غيضة ولها شبلان وإنّها خرجت في طلب الصّيد وخلّفتهما في كهفهما، فمرّ بهما إسور فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما إلى منزله، ثم إنّها رجعت فلّما رأت ما حلّ بهما من الأمر الفظيع اضطربت ظهرا لبطن وصاحت.

وكان إلى جنبها شعهر، فلّما سمع ذلك من صياحها قال لها: ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك فاخبريني به.

قالت اللّبوءة:

- شبلاي مرّ بهما إسور فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما

ونبذهما بالعراء.

قــال لها الشعهر:

- لا تضجّي وانصفي من نفسك، واعلمي أنّ هذا الإسور لـم يات إليك شيئًا إلا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتاتين إلـى غير واحد مثل ذلك، ممّن كان يجد بحميمه ومن يعزّ عليـه مثل مـا تجدين بشبليك، فاصبري على فعل غيرك كما صبـر غيرك عليه منك، فإنّه قد قيل: كما تدين تُدان، ولكلّ عمـل ثمـرة من الثواب أو العقاب، وهما على قدره في الكثرة والقلّة كالزّرع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره.

قــالت اللّبوءة:

- بين لي ما تقول وأفصح لي عن إشارته.

قــال الشعهر:

- كم لك من العمر؟.

قــالت اللبوءة:

- مئة سنة.

قــال الشعهر:

- ما كان قوتك؟.

قــالت اللبوءة:

- لحم الوحش.

قــال الشعهر:

- من كان يطعمك إياه؟

قــالت اللبوءة:

- كنت أصيد الوحش وآكله.

قــال الشعهر:

- أرأيت الوحوش التي كنت تاكلين أما كان لها آباء وأمّهات؟.

قــالت:

- بــلــى.

قــال الشعهر:

- فما بالي لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والأمهات من الجزع والضّجيج ما أرى وأسمع لك؟ أما إنّه لم ينزل بك ما نزل إلاّ لسوء نظرك في العواقب وقلّة تفكرك فيها وجهالتك بما يرجع عليك من ضرّها.

فلّما سمعت اللّبوءة ذلك من كلام الشعهر عرفت أن ذلك مما جنت على نفسها، و أن عملها كان جورا وظلما، فتركت الصّيد وانصرفت عن أكل اللحم إلى أكل الثمار والنسك والعبادة، فلما رأى ذلك ورشان (نوع من الحمام البري أكدر اللون فيه بياض فوق ذيله)

obeikandl.com

وكان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قـــال لها:

قد كنت أظنّ أن الشجر عامنا هذا لم يحمل لقلّة الماء، فلّما أبصرتك تاكلينها وأنت آكلة اللحم، تركت رزقك وطعامك ومـا قسم الله لك وتحوّلت إلى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيك، علمت أنّ الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم، وإنّما أتت قلّة الثمر من جهتك، فويل للشجر، وويل للثمار، وويل لمن عيشهم منها، ما أسرع هلاكهم إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ، ولم يكن معتادا لأكلها!.

فلّما سمعت اللّبوءة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّ الجاهل ربما انصـرف بضرّ يصيبه عن ضرّ النّاس كاللّبوءة التي انصرفت لما لقيـت فـي شبليها عـن أكـل اللّحم ثـم عـن أكـل الثمـار بقول الورشـان وأقبلـت على النّسك والعبادة.

والنّاس أحقّ بحسن النّظر في ذلك، فإنّه قد قيل: مالا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك، فإنّ في ذلك العدل، وفي العدل رضا الله تعالى ورضا النّاس.

obeikandl.com

باب
إيلاذ و بلاذ و ابراخت

obeikandl.com

باب

إيلاذ وبلاذ وإيراخت

قـــال دبشليم لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثلا في الأشياء التـي يجب على الملك أن يُلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبّت بها سلطـانـه ويكـون ذلك رأس أمـره وملاكه بالحلـم أم بالمـروءة أم بالشّجاعة أم بالجود؟.

قـــال بيدبا:

- إن أحقّ ما يحفظ به الملك ملكه الحلم، وبه تثبت السّلطنة، والحلم رأس الأمور وملاكها، وأجود ما كان في الملوك، كالذي زعموا أنه كان ملك يدعى [بلاذ] وكان له وزير يدعى (إيلاذ) وكان متعبّدا ناسكا، فنام الملك ذات ليلة فرأى في منامه

ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ مرعوبا، فدعا بالبراهمة وهم النسّاك ليعبّروا رؤياه، فلّما حضروا بين يديه قصّ عليهم ما رأى فقـــالوا بإجمعهم:

لقد رأى الملك عجبا، فإنّ أمهلنا سبعة أيّام جئناه بتاويله.

قـــال الملك:

- قد أمهلتكم.

فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا بينهم، وقـــالـوا:

- قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثاركم وتنتقمون مـن عدوّكم، وقد علمتم أنّه قتل منا بالأمس اثني عشر ألفا، وها هـو قد اطلعنا على سرّه وسالنا تفسير رؤياه، فهلم نغلظ له القول ونخوّفه حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد، ونامره فنقـول:

- ادفع إلينا أحبّاءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم، فإنّا قـد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشرّ إلا بقتل من نسمّي لك، فإن قـــال الملك:

- ومن تريدون أن تقتلوا سمّوهم لي؟.

قلنا:

- نريد الملكة إيراخت أمّ جوير المحمودة، أكرم نسائك عليك، ونريد جوير أحبّ بنيك إليك وأفضلهم عندك، ونريد ابن أخيك الكريم وإيلاذ خليلك وصاحب أمرك، ونريد كال الكاتب صاحب سرك، وسيفك الذي لا يوجد مثله، والفيل الأبيض الذي لا تلحقه الخيل، والفرس الذي هو مركبك في القتال، ونريد الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذّكر ونريد البختيّ السرّيع القويّ. ونريد [كباريون] الحكيم الفاضل العالم بالأمور لننتقم منه بما فعل بنا.

ثم نقول له:

- إنّما ينبغي لك أيّها الملك أن تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم في حوض تملأه ثم تقعد فيه، فإذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معاشر البراهمة من الآفاق الأربعة نجول حولك فنرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدّم ونغسلك بالماء والدّهن الطيّب، ثم تقوم إلى منزلك البهيّ فيدفع الله بذلك البلاء الذي نتخوّفه عليك، فإن صبرت أيّها الملك وطابت نفسك عن أحبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداك تخلّصت من البلاء، واستقام لك ملكك وسلطانك، واستخلفت من بعدهم من أحببت، وإن أنت لم تفعل تخوّفنا عليك

أن يغصب ملكك أو تهلك. فإن هـو أطاعنـا فيما نامـره قتلنـاه أيّ قتلة شئنا.

فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا فيه رجعوا إليه في اليوم السّابع وقــالوا لـه:

- أيّها الملك إنّا نظرنا في كتبنـا تفسير مـا رأيت وفحصنا عـن الرأي فيما بيننا، فليكن لك أيّها الملك الطّاهر الصّالح الكرامة، ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا إلاّ أن تخلو بنا.

فاخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدّثوه بالذي ائتمروا به، فقــال لهـم:

- الموت خير لي من الحياة إن أنا قتلت هؤلاء الذين هـم عديل نفسي، وأنا ميّت لا محالة والحياة قصيرة، ولست كـلّ الدّهر ملكا، وإنّ الموت عندي وفراق الأحباب سواء.

قــال له البرهمّيون:

- إن أنت لم تغضب أخبرناك فاذن لهم فقــالوا:

- أيّها الملك إنك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك، فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذي فيه لك الرّجاء العظيم على ثقة ويقين، وقرّ عينا بملكك فـي وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم، ولا تدع الأمـر

العظيم وتاخذ بالضّعيف فتهلك نفسك إيثارا لمن تحبّ.

واعلم أيّها الملك أن الإنسان إنّما يحبّ الحياة محبّة لنفسه، وأنه لا يحبّ من أحبّ من الأحباب إلاّ ليتمتّع بهم في حياته، وإنّما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك، وإنك لن تنال ملكك إلاّ بالمشقّة والعناء الكثير في الشهور والسّنين، وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك، فاستمع لكلامنا وانظر لنفسك مناها ودع ما سواها فإنّه لا خطر له.

فلما رأى الملك أنّ البرهميّين قد أغلظوا له في القول واجترؤوا عليه في الكلام اشتدّ غمّه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل إلى حجرته فخرّ على وجهه يبكي ويتقلّب كما تتقلّب السّمكة إذا خرجت من الماء. وجعل يقول في نفسه:

- ما أدري أي الأمرين أعظم في نفسي، الهلكة أم قتل أحبّائي؟ ولن أنال الفرح ما عشت، وليس ملكي بباق عليّ إلى الأبد، ولست بالمصيب سؤلي في ملكي، وإنّي لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت، وكيف أقدر على القيام بملكي إذا هلك فيلي الأبيض، وفرسي الجواد، وكيف أدعي ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله وما أصنع بالدّنيا بعدهم؟.

ثم إنّ الحديث فشا في الأرض بحزن الملك وهمّه، فلمّا رأى

إيلاذ ما نال الملك من الهمّ والحزن فكّر في حكمته ونظر وقـــال:

- ما ينبغي لي أن استقبل الملك فاساله عن هذا الأمر الذي قد ناله من غير أن يدعوني، ثم انطلق إلى إيراخت.

قـــال:

- إنّي منذ خدمت الملك إلى الآن لم يعمل عملا إلاّ بمشورتي ورأيي، وأراه يكتم عنّي أمرا لا أعلم ما هو ولا أراه يُظهر منه شيئًا، وإنّي رأيته خاليا مع جماعة البرهميّين منذ ليال، وقد احتجب عنّا فيها، وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شيء من أسراره، فلست آمنهم أن يشيروا عليه بما يضرّه ويدخل عليه منه السّوء، فقومي وادخلي عليه واساليه عن أمره وشانه وأخبريني بما هو عليه واعلميني فإنّي لست أقدر على الدّخول عليه، فلعلّ البرهميين قد زيّنوا له أمرا وحملوه على خطّة قبيحة، وقد علمت أنّ من خُلق الملك أنه إذا غضب لا يسال أحدا، وسواء عنده صغير الأمور وكبيرها، فقـــالت إيراخت:

- إنّه كان بيني وبين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه في هذه الحال، فقـــال لها إيـلاذ:

- لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا، ولا يخطرنّ ذلك على بالك، فليس يقدر على الدّخول عليه أحد سواك، وقد سمعته

obeikandi.com

كثيرا يقول:

- ما اشتدّ غمّي ودخلت عليّ إيراخت إلاّ سرّي ذلك عنّي، فقومي إليه واصفحي عنه، وكلّميه بما تعلمين أنه تطيب به نفسه، ويذهب الذي يجده، وأعلميني بما يكون جوابه، فإنّ بذلك لنا ولأهل المملكة أعظم الرّاحة.

فانطلقت إيراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت:

- ما الذي بك أيّها الملك المحمود، وما الذي سمعت من البراهمة؟ فإني أراك محزونا، فاعلمني بما بك فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونواسيك بانفسنا.

فقال الملك:

- أيّتها المرأة لا تساليني عن أمري فتزيديني غمّا وحُزنا، فإنه أمرٌ لا ينبغي أن تساليني عنه.

قالت:

- أو قد نزلت عندك منزلة من يستحقّ هذا؟، إنّما أحمد النّاس عقلا من إذا نزلت به النّازلات كان لنفسه أشدّ ضبطا وأكثرهم استماعا من أهل النصح، حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذّنب لا يقنط من الرّحمة، ولا تدخلنّ عليك شيئًا من الهمّ والحزن فإنّهما لا يردّان

obeikandl.com

شيئًا مقضيّا إلاّ أنهما ينخلان الجسم ويشفيان العدو.

قـــال لها الملك:

- لا تساليني عن شيء فقد شققت عليّ، والذي تسالين عنه لا خير فيه لأنّ عاقبته هلاكي وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسي، وذاك أنّ البراهمة زعموا أنّه لا بدّ من قتلك وقتل كثير من أهل مودّتي ولا خير في العيش بعدكم، وهل أحد يسمع بهذا إلا اعتراه الحزن؟.

فلما سمعت ذلك إيراخت جزعت ومنعها عقلها أن تُظهر للملك جزعا فقـــالت:

- أيّها الملك لا تجزع فنحن لك الفداء، ولك في سواي مثلي من الجواري ما تقرّ به عينك، ولكني أطلب منك أيّها الملك حاجة يحملني على طلبها حبي لك وإيثاري إيّاك وهي نصيحتي لك.

قـــال الملك:

- وما هـي؟.

قـــالت:

- أطلب منك أن لا تثق بعدها باحد من البراهمة ولا تشاورهم في أمر حتى تتثبّت في أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك مرارا، فإنّ القتل أمر عظيم، ولست تقدر على أن تحيي من قتلت، وقـد قيل في الحديث: إذا لقيت جوهرا لا خير فيه فلا تلقه من يدك

حتى تُريه من يعرفه.

و أنـت أيّـهـا الملك لا تعرف أعـداءك، واعلـم أن البراهمة لايحبّونك، وقد قتلت منهم بالأمس اثني عشر ألفا، ولا تظنّ أن هؤلاء ليسوا من أولئك، ولعمري ما كنت جديرا أن تخبرهم برؤياك ولا أن تطلعهم عليها، وإنّما قـالوا لك ما قـالوا لأجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلّهم يُهلكونك ويهلكون أحبّاءك ووزيرك فيبلغون قصدهم منك، و أظنّك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بك، وغلبوك على ملكك فيعود الملك إليهم كما كان، فانطلق إلى (ادصلو) الحكيم فهو عالم فطن فاخبره عمّا رأيت في رؤياك، واساله عن وجهها وتاويلها.

فلمّا سمع الملك ذلك سرّي عنه ما كان يجده من الغمّ، فامـر بفرسه فاسرج فركبه ثم انطلق إلى كباريون الحكيم، فلّما انتهى إليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطاطئا الرأس بين يديه، فقـال له الحكيم:

- ما بالك أيّها الملك ومالي أراك متغيّر اللّون؟.

فقـال له الملك:

- إنّي رأيت في المنام ثمانية أحلام قصصتها على البراهمة وأنا خائف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر ممّا سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى أن يغضب منّي ملكي أو أن أغلب عليه.

فقـــال له الحكيم:

- إن شئت قصصت عليّ أحلامك وإن شئت قصصتها عليك وأخبرتك بما رأيت جميعه.

قـــال الملك:

- بل من فيك أحسن.

قـــال الحكيم:

- لا يُحزنك أيّها الملك هذا الأمر ولا تخف منه، أمّا السّمكتان الحمراوان الّلتان رأيتهما قائمتين على ذنبيهما فإنه ياتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من الدّرّ والياقوت الأحمر قيمتهما أربعة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك.

وأمّا الوزتان اللّتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فإنّه ياتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الأرض مثلهما فيقومان بين يديك.

وأمّا الحيّة التي رأيتها تدبّ على رجلك اليسرى فإنه ياتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لايوجد مثله، وأما الدّم الذي رأيت كانه خُضب به جسدك فإنّه ياتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمّى حلّة أرجوان يضيء في الظلّمة.

obeikandi.com

و أمّـا مـا رأيـت من غسـلك بالـمـاء فإنّـه ياتيـك من ملك رهـزين مـن يـقـوم بـيـن يديـك بثياب كتـان مـن لبـاس الملـوك.

و أمـا مـا رأيـت من أنّـك علـى جبـل أبيـض فإنّـه ياتيـك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقـه الخـيـل.

وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار فإنه ياتيك من ملك الأرزن من يقوم بين يديك بإكـليـل مـن ذهـب مكلّل بالـدّر والياقوت.

وأمّا الطير الذي رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرّا ذلك اليوم وليس بضارّك فلا توجلنّ منه ولكنّ فيه بعض السّخط والإعراض عمّا تحبّه.

فهذا تفسير رؤياك أيّها الملك، وأمّا هذه البرد والرّسل فإنّها تاتيك بعد سبعة أيّام جميعا فتقوم بين يديك.

فلمّا سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله.

فلّما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرّسل، فخرج الملك فجلس على التّخت وأذن للأشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم. فلما رأى الملك ذلك اشتدّ عجبه وفرحه مـن

علم كباريون وقـــال:

- ما وفّقت حين قصصت رؤياي على البراهمة فامروني بما أمروني به، ولولا أن الله تعالى تداركني برحمته لكنت هلكت وأهلكت، وكذلك لا ينبغي لأحد أن يسمع من الأخلاّء ذوي العقول، وإنّ إيراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النّجاح فضعوا الهديّة بين يديها لتاخذ منها ما اختارت. ثم قـــال لإيلاذ:

- خذ الإكليل والثياب واحملها واتبعني بها إلى مجلس النّساء.

ودعا الملك إيراخت وحورقناه أكرم نسائه بين يديه، فقـــال لإيلاذ:

- دع الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتاخذ أيّها شاءت، فوُضعت الهدايا بين يدي إيراخت فاخذت منها الإكليل وأخذت حورقناه كسوة من أفخر الثّياب وأحسنها، وكان من عادة الملك أن يكون ليلة عند إيراخت وليلة عند حورقناه، وكان من سنّة الملك أن تهيء له المرأة التي يكون عندها في ليلتها أرزا بحلاوة فتطعمه، فاتى الملك إيراخت في نوبتها وقد صنعت له أرزا فدخلت عليه بالصّحفة والإكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من إيراخت فلبست تلك الكسوة ومرّت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء

الشّمس، فلّما رآها الملك أعجبته ثم التفت إلى إيراخت فقــال:

- إنّك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها.

فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصّحفة رأس الملك فسال الأرزّ على وجهه وكان ذلك تمام تعبير الرؤيا التي عبرها كباريون.

فقام الملك من مكانه ودعا بإيلاذ وقــال:

- ألا ترى وأنا ملك العالم، وكيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى؟ فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها، فخرج إيلاذ من عند الملك وقــال:

- لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النّساء وليس الملك بصابر عنها، وقد خلّصته من الموت وعملت أعمالا صالحة ورجاؤنا فيها عظيم، ولست آمنه أن يقول:

- لِم لم تؤخر قتلها حتى تُراجعني؟ فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية فإن رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حيّة، وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت إيراخت من القتل

وحفظت قلب الملك واتّخذت عند عامّة الناس بذلك يدا، وإن رأيته فرحا مستريحا مصوبّا رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها لايفوت.

ثم انطلق بها إلى منزله ووكّل بها خادما من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك، ثم خضب سيفه بالدّم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقــال: أيّها الملك إنّي قد أمضيت أمرك في إيراخت، فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب وذكر جمال إيراخت واشتدّ أسفه عليها وجعل يعزّي نفسه عنها ويتجلّد، وهو مع ذلك يستحي أن يسال إيلاذ أحقا أمضى أمره فيها أم لا، ورجا لما عرف من عقل إيلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك.

ونظر إليه إيلاذ بفضل عقله فعلم الذي به، فقــال:

- لا تهتّم ولا تحزن أيّها الملك فإنه ليس في الهمّ والحزن منفعة ولكنّهما يُنحلان الجسم ويفسدانه، فاصبر أيّها الملك على مـا لست بقادر عليه أبدا، وإن أحب الملك حدّثته بحديث يسليّه قــال حدثني.

مثل الحمامتين

قــال إيلاذ:

- زعموا أن حمامتين ذكر وأنثى ملآ عشّهما من الحنطة والشّعير. فقــال الذّكر للأنثى:

- إنّا وجدنا في الصّحاري ما نعيش به فلسنا ناكل مما ههـنا شيئًا، فإذا جاء الشّتاء ولم يكن في الصّحاري شيء رجعنا إلــى مـا في عشّنا فاكلناه، فرضيت الأنثى بذلك وقــالت له:

- نعم ما رأيت، وكان ذلك الحبّ نديّا حين وضعـاه فــي عشّهما، فانطلق الذّكر فغاب.

فلّما جاء الصّيف يبس الحبّ وانضمر، فلّمــا رجـع الذّكـر رأى الحبّ ناقصا فقــال لها:

- أليـس كنّا جمعنا رأينا على أن لا ناكل منه شيئًـا فلِـم أكلتــه؟.

فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئًا وجعلت تعتذر إليه فلم يصدّقها وجعل ينقرها حتى ماتت.

فلّما جاءت الأمطار الغزيرة ودخل الشّتاء تندى الحبّ وامتلأ العُشّ كما كان، فلّما رأى الذّكر ذلك ندم، ثم اضطجع إلى جانب

Obeikandl.com

حمامته وقـــال:

- ما ينفعني الحبّ والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك، ولم أقدر عليك، وإذا فكرت في أمرك وعلمت أني قد ظلمتك، ولا أقدر على تدارك ما فات، ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات إلى جانبها.

مثل الرّجل و طبق العد س

والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة، ولاسيما من يخاف النّدامة كما ندم الحمام الذّكر. وقد سمعت أيضا أن رجلا دخل الجبل وعلى رأسه طبق من العدس، فوضع الطّبق على الأرض ليستريح فنزل قرد من شجرة فاخذ ملء كفّه من العدس وصعد إلى الشجرة فسقطت من يده حبّة فنزل في طلبها فلم يجدها، وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع.

وأنت أيضا أيّها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن وتطلب التي لا تجد.

فلما سمع ذلك خشي أن تكون إيراخت قد هلكت،

obeikandi.com

فقـــال لإيلاذ:

- إيها إيلاذ! من كلمة واحدة فعلت ما أمرتك به من ساعتك وتعلّقت بحرف واحد كان منّي ولم تتثبّت في الأمر ؟!.

قـــال إيلاذ:

- إنّ الذي قوله واحد لا يختلف، هو الله الذي لا تبديل لكلماتـه ولا اختلاف لقوله.

قـــال الملك:

- لقد أفسدت أمري وشدّدت حزني بقتل إيراخت.

قـــال إيلاذ:

- إثنان ينبغي لهما أن يحزنا: الذي يعمل الإثم في كلّ يوم، والذي لا يعمل خيرا قطّ، لأنّ فرحهما في الدّنيا ونعيمهما قليل وندامتهما طويلة عندما يعانيان الجزاء.

قـــال الملك:

- لئن رأيت إيراخت حيّة لا أحزن على شيء أبدا.

قـــال إيلاذ:

- إثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا: المجتهد في البرّ كلّ يوم، والذي لم ياثم قطّ.

obeikandi.com

قـــال الملك:

- ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر مما نظرت.

قـــال إيلاذ:

- إثنان لا ينظران: الأعمى، والذي لا عقل له، وكما أنّ الأعمى لا ينظر السّماء ونجومها وأرضها ولا ينظر البعد والقرب، كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء.

قـــال الملك:

- لو رأيت إيراخت لاشتدّ فرحي.

قـــال إيلاذ:

- إثنان هما الفرحان: البصير والعالم، فكما أنّ البصير يُبصر أمور العالم وما فيه من الزّيادة والنقصان والبعيد والقريب، فكذلك العالم يبصر البرّ والإثم ويعرف أعمال الآخرة ويتبيّن له نجاته ويُهدى إلى صراط مستقيم.

قـــال الملك:

- ينبغي لنا أن نتباعد منك يا إيلاذ وناخذ الحذر ونلزم الاتقاء.

Obeikandl.com

قـــال إيلاذ:

- إثنان ينبغي أن يُتباعد منهما: الذي يقول لا بـرّ ولا إثـم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء عليّ ممّا أنا فيه، والذي لا يصرف بصره عن المحرّم، ولا أذنـه عـن استمـاع السّـوء ولا نفسـه عــن خاصة غيره، ولا قلبه عمّا اتّهم به نفسه من الإثـم والحرص.

قـــال الملك:

- صارت يدي من إيراخت صفرا.

قـــال إيلاذ:

- ثلاثة أشياء أصفار: النهر الذي ليس فيه ماء، والأرض التـي ليس فيها ملك، والمرأة التي ليس لها بعل.

قـــال الملك:

- إنّك يا إيلاذ لتُلقي بالجواب.

قـــال إيلاذ:

- ثلاثة يلقون الجواب: الملك الذي يُعطي ويقسم خزائنـه، والمرأة المهداة إلى من تودّ من ذوي الحسب، والرّجل العالـم الموفّق للخير.

ثم إنّ إيلاذ لما رأى الملك قد اشتدّ به الأمر قــال:

- أيّها الملك ذلك إن إيراخت على قيد الحياة، فلما سمع الملك ذلك اشتدّ فرحه، وقــال:

- يا إيلاذ إنّما منعني من الغضب ما أعرف من نصيحتك وصدق حديثك، و كنت أرجو لمعرفتي بعلمك أن لا تكون قد قتلت إيراخت، فإنّها وإن كانت أتت عظيما وأغلظت في القول فلم تاته عداوة ولا طلب مضرة، ولكنّها فعلت ذلك للغيرة.

وقد كان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك واحتمله، ولكنك يــا إيلاذ أردت أن تختبرني وتتركني في شك من أمرها، وقد اتخذت عندي أفضل الأيادي وأنا لك شاكر فانطلق فاتني بها.

فخرج من عند الملك فاتى إيراخت وأمرها أن تتزيّن ففعلت ذلك، وانطلق بها إلى الملك فلما دخلت سجدت له ثم قامت بين يديه وقــالت:

- أحمد الله تعالى، ثم أحمد الملك الذي أحسن إليّ، قد أذنبت الذّنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلا بعده، فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته، ثم أحمد إيلاذ الذي أخّر أمري، وأنجاني من الهلكة، لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده.

وقـــال الملك لإيلاذ:

- ما أعظم يدك عندي وعـنـد إيراخـت وعنـد العـامة إذ قـد أحييتهـا بعدمـا أمـرت بقتلهـا، فانت الذي وهبها لـي الـيوم، فإنـي لم أزل واثقا بنصيحتـك وتدبـيـرك، وقـد ازددت اليوم عندي كرامـة وتعظيما وأنت محكّم في ملكي تعمـل فيـه بما ترى، وتحكـم عليه بما تريد، فقد جعلت ذلك إليك ووثقت بك.

قـــال إيلاذ:

- أدام الله لك أيّها الملك المُلك والسّرور، فلست بمحمود على ذلك، فإنّما أنا عبدك، لكن حاجتي أن لا يعجل الملك فـي الأمر الجسيم الذي يندم على فعله، وتكون عاقبته الغـمّ والحزن، ولاسيما في مثل هذه المرأة النّاصحـة المشفقـة، الـتي لا يوجد في الأرض مثلها.

فقـــال الملك:

- بحقّ قلت يا إيلاذ، وقد قبلت قولك ولست عامـلا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا، فضلا عن مثل هذا الأمر العظيم الذي مـا سلمت منه إلاّ بعد المؤامرة والنظر والتردّد إلى ذوي العقول، ومشاورة أهل المودّة والرّأي.

ثم أحسن الملك جائزة إيلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا بقتل أحبابه فاطلق فيهم السّيف، وقرّت عين الملك وعيون عظماء أهل مملكته، وحمدوا الله وأثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته، لأنه بعلمه خلّص الملك ووزيره الصّالح وامرأته الصّالحة.

obeikandl.com

باب
الناسك والضيف

obeikandl.com

obeikandl.com

باب
الناسك و الضيف

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الذي يدع صُنعه الذي يليق به ويشاكله، ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيـران متردّدا.

قـــال الفيلسوف:

- زعموا أنه كان بارض الكرخ ناسك عابد مجتهد، فنزل بـه ضيف ذات يوم، فدعا النّاسك لضيفه بتمر ليطرفه به فاكلا منـه جميعا، ثم قـــال الضيف:

- مـا أحلـى هـذا التّمـر وأطيبه! فليس هو فـي بـلادي

obeikandi.com

التـي أسكنها، وليته كان فيها، ثم قــال:

- أرى أن تساعدني على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا، فإنّي لست عارفا بثمار أرضكم هذه، ولا بمواضعها.

قــال له النّاسك:

- ليس لك في ذلك راحة، فإن ذلك يثقل عليك، ولعلّ ذلك لا يوافق أرضكم، مع أنّ بلادكم كثيرة الأثمار فما حاجتها مـع كثرة ثمارها إلى التّمر مع وخامته وقلّة موافقته للجسد؟. ثـم قــال له النّاسك:

- إنّه لا يعدّ حكيما من طلب ما لا يجد، وإنّك سعيد الجدّ إذا قنعت بالذي تجد، وزهدت فيما لا تجد.

وكان هذا النّاسك يتكلّم بالعبرانية، فاستحسن الضّيف كلامه وأعجبه، فتكلّف أن يتعلّمه وعالج في ذلك نفسه أيّاما، فقــال النّاسك لضيفه:

- ما أخلقك أن تقع ممّا تركت من كلامك، وتكلّفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب.

قــال الضيف:

- وكيف كان ذلك؟.

مثل الغراب الذي أراد أن يدرج كالحجلة

قـــال النّاسك:

- زعموا أنّ غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فاعجبته مشيتها، وطمع أن يتعلّمها، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر إحكامها وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلع فيه وصار أقبح الطّير مشيا.

● وإنّما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنّك تركت لسانك الذي طُبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانيّة وهو لا يشاكلك، وأخاف أن لا تدركه وتنسى لسانك، وترجع إلى أهلك وأنت شرهم لسانا.

فـإنّـه قـد قيـل إنّـه يعـدّ جاهـلا من تكلّف من الأمـور مـا لا يشاكله، وليس من عمله ولم يؤدّبـه عليه آبـاؤه وأجـداده مـن قبل، ولم يعرف به أحدا من أهله وذوي قرابته، فإن العاقل لا يتعدى طوره.

قـــال الفيلسوف للملك:

- إن الولاة في قلّة تعاهدهم الرعية في هذا وأشباهه اليوم

openelkandil.com

أسوأ تدبيرا لانتقـــال الناس من بعض المنازل إلى بعض وتركهم منها ما قد لزموه، وجرت لهم المعايش فيه من قبل الملوك، والتماس أهل الطبقة السفلى مراتب الطبقة العليا، وانتشار الأمور وفساد الأدب ومنازعة اللئيم للكريم، ثم الأشياء تجري على مثال ذلك حتى تنتهي إلى الخطر العظيم الجسيم من مزاحمة الملك في ملكه ومضادته فيه.

obeikandl.com

باب
السائح والصائغ

oseikandl.com

obeikandl.com

باب
السائح و الصائغ

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشّكر عليه.

قـــال الفيلسوف:

- أيّها الملك إنّ طبائع الخلق مختلفة، وليس ممّا خلقه الله في الدّنيا ممّا يمشي على أربع أو على رجلين أو يطير بجناحين أو يسبح في الماء شيء هو أفضل من الإنسان، ومن النّاس البرّ والفاجر.

وقد يكون في بعض البهائم والسّباع والطّير ما هو أوفى منه ذمّة، وأشدّ محاماة على حرمه، وأشكر للمعروف وأقـوم بـه،

obeikandl.com

وحينئذ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه، ولا يضعوه عند من لا يحتمله، ولا يقوم بشكره، ولا يصطفوا أحدا إلاّ بعد الخبرة بطرائقه، والمعرفة بوفائه ومودّته وشكره، ولا ينبغي أن يختصّوا بذلك قريبا لقرابته إذا كان غير محتمل للصّنيعة، ولا أن يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد إذا كان يقيهم بنفسه، وما يقدر عليه، لأنّه يكون حينئذ عارفا بحقّ ما اصطُنع إليه مؤديا لشكر ما أنعم عليه، محمودا بالنصح معروفا بالخير، صدوقا عارفا مؤثرا لحميد الفعال والقول، وكذلك كلّ من عُرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها، كان للمعروف موضعا، ولتقريبه واصطناعه أهلا، فإنّ الطّبيب الرّفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلاّ بعد النّظر إليه، والجسّ لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علّته، فإذا عرف ذلك كلّه حقّ معرفته أقدم على مداواته، فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفي أحدا، ولا يستخلصه إلاّ بعد الخبرة، فإنّ من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا في ذلك، ومشرفا منه على هلاك وفساد، ومع ذلك ربّما صنع الإنسان المعروف مع الضّعيف الذي لم يجرّب شكره، ولم يعرف حاله، في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافاة، وربّما حذّر العاقل النّاس ولم يامن على نفسه

أحدا منهم، وقد ياخذ ابن عرس فيُدخله في كمّه ويُخرجه من الآخر، كالذي يحمل الطّائر على يده، فإذا صاد شيئًا انتفع به وأطعمه منه.

وقد قيل: لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من النّاس، ولا من البهائم، ولكنّه جدير بان يبلوهم، ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم. وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء.

قال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

obeikandl.com

مثل الحية والقرد والببر

قـــال الفيلسوف:

- زعموا أنّ جماعة احتفروا رَكيّة فوقع فيها رجل صائغ وحيّة وقردٌ وببر، ومرّ بهم رجل سائح، فاشرف على الرّكيّة فبصر بالرّجل والحيّة والقرد والببر، ففكّر في نفسه، وقـــال:

- لست أعمل لآخرتي عملا أفضل من أن أخلّص هذا الرّجل من بين هؤلاء الأعداء، فـاخذ حبلا و أدلاه إلـى البئـر فتعلّـق بـه القـرد لخفته فخـرج، ثـم أدلاه ثانيـة فالتفّـت بـه الحيّـة فخـرجـت، ثم أدلاه الثّالثة فتعلّق به الببر فاخرجه، فشكـرن لــه صنيعه وقلـن لـه :

- لا تخرج هذا الرّجل من الرّكية فإنه ليس شيء أقل شكرا من الإنسان، ثم قـــال له القرد:

- إنّ منزلي في جبل قريب من مدينة يقـــال لها نوادرخت، فقـــال له الببر:

- أنا أيضا في أجمة إلى جانب تلك المدينة، قـــالت الحية:

obeikandi.com

- أنا أيضا في سور تلك المدينة، فإن أنت مررت بنا يوما من الدّهر واحتجت إلينا فصوّت علينا حتى ناتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف.

فلم يلتفت السّائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان، وأدلى الحبل فاخرج الصّائغ فسجد له وقـــال:

- لقد أوليتني معروفا فإن مررت يوما من الدّهر بمدينة نوادرخت فاسال عن منزلي فانا رجل صائغ اسمي فلان لعلي أكافئك بما صنعت إليّ من المعروف.

فانطلق الصّائغ إلى مدينته وانطلق السائح إلى وجهته، فعرض بعد ذلك أنّ السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبّل رجليه واعتذر إليه وقـــال:

- إنّ القرود لا يملكون شيئًا، ولكن أقعد حتى آتيك، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيّبة فوضعها بين يديه فاكل منها حاجته.

ثم إنّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخرَّ له ساجدا وقـــال له:

- إنّك قد أوليتني معروفا فاطمئن ساعة حتى آتيك، فانطلق الببر فدخل في بعض من الحيطان إلى بنت الملك فقتلها وأخذ

حليّها فاتاه بها من غير أن يعلم السّائح من أين هي، فقـال فـي نفسه:

- هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو أتيت إلـى الصّائغ فإنّه إن كان معسرا لا يملك شيئًا فسيبيع هذه الحلـيّ فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه وياخذ بعضه وهو أعـرف بثمنـه.

فانطلق السائح فاتى إلى الصّائغ فلما رآه رحّب به وأدخله بيته، فلما بصر بالحليّ معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك، فقـال للسائح:

- اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت.

ثم خرج وهو يقول:

- قد أصبت فرصتي، أريد أن انطلق إلى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده.

فانطلق إلى باب الملك فارسل إليه أنّ الذي قتل ابنتك وأخذ حليّها عندي، فارسل الملك وأتى بالسّائح، فلمّا نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يعذّب ويُطاف به في المدينة ويصلب، فلمّا فعلوا به ذلك جعل السّائح يبكي ويقول باعلى صوته:

لو أني أطعت القرد والحيّة والببر فيما أمرنني به وأخبرنني

من قلّة شكر الإنسان لم يصر أمري إلى هذا البلاء، وجعل يكرّر هذا القول، فسمعت مقــالته تلك الحيّة فخرجت من جحرها فعرفته، فاشتدّ عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فرقوه فلم يغنوا عنه شيئًا.

ثم مضت الحيّة إلى أخت لها من الجنّ فاخبرتها بما صنع السّائح إليها من المعروف وما وقع فيه، فرقّـت لـه وانطلقـت إلــى ابن الملك وتراءت له وقــالت له:

- إنّك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرّجل الذي قد عاقبتموه ظلما.

وانطلقت الحيّة إلى السّائح فدخلت عليه السّجـن وقــالت لــه :

- هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعـروف إلــى هــذا الإنسان ولم تطعني، وأتته بورق ينفع من سمّها وقــالت له :

- إذا جاءوا بك لترقي ابن الملك فاسقه من ماء هــذا الــورق فــإنّــه يــبرأ، وإذا سالك الملك عن حالك فاصدقه فــإنّــك تنجـو إن شاء الله تعالى، وإنّ ابن الملك أخبر أباه أنّه سمع قــائـلا

يقـول:

- إنّك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السّائح الذي حُبس ظلما.

فدعا الملك بالسّائح وأمره أن يرقي ولده فقــال:

- لا أحسن الرّقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشّجرة فيبرأ بإذن الله تعالى، فسقاه فبرئ الغلام.

ففرح الملك، وساله عن قصّته فاخبره، فشكره الملك وأعطاه عطيّة حسنة، وأمر بالصّائغ أن يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشّكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح.

ثم قــال الفيلسوف للملك:

- ففي صنع الصّائغ بالسّائح وكفره له بعد استنقاذه إيّاه، وشكر البهائم له وتخليص بعضها إيّاه عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم، قرُبوا أو بعُدوا لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه.

Obeikandi.com

باب
ابن الملك و أصحابه

obeikandl.com

obeikandl.com

باب
ابن الملك وأصحابه

قـــال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:

- قـد سمعت هـذا المـثل، فإن كان الرّجل لا يصيب الخيـر إلاّ بعقله ورأيه وتثبّته في الأمور كما يزعمون، فما بال الرّجل الجاهل يصيب الرّفعة والخير، و الرّجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضّرّ؟.

قـــال بيدبا:

- كما أنّ الإنسان لا يبصر إلاّ بعينيه ولا يسمع إلا باذنيـه، كذلك العمل إنّما هو بالحلـم و العقـل و التثبّـت، غـيـر أن القضاء والقدر يغلبان على ذلك، ومثل ذلك مثل ابـن الملـك وأصحابـه.

قـــال الملك:

- وكيف كان ذلك؟.

قـــال الفيلسوف:

- زعموا أن أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة، أحدهم ابن ملك، والثاني ابن تاجر، والثالث ابن شريف ذو جمال، والرّابع ابن أكّار، وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضـرر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون إلاّ ما عليهم مـن الثياب.

فبينما هم يمشون إذ فكّروا في أمرهم، وكان كلّ إنسان منهم راجعا إلى طباعه و ما كان ياتيه منه الخير، فقـال ابن الملك:

- إنّ أمر الدّنيا كلّه بالقضاء والقدر، والذي قدّر على الإنسان ياتيه على كلّ حال، والصّبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور، وقـــال ابن التّاجر:

- العقل أفضل من كل شيء.

وقـــال ابن الشريف:

- الجمال أفضل ممّا ذكرتم.

ثم قـــال ابن الأكار:

- ليس في الدّنيا أفضل من الاجتهاد في العمل.

openkandil.com

فلّما قربوا من مدينة يقــال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون.

فقــالوا لابن الأكار:

- انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا.

فانطلق ابن الأكار وسال عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر، فعرّفوه أنه ليس في تلك المدينة شيء أعزّ من الحطب، وكان الحطب منها على فرسخ، فانطلق ابن الأكّار فاحتطب طنّا من الحطب، وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما، وكتب على باب المدينة: عمل يوم واحد إذا جهد به الرّجل بدنه قيمته درهم، ثم انطلق إلى أصحابه بالطّعام فاكلوا، فلما كان من الغد قــالوا:

- ينبغي للّذي قــال إنه ليس شيء أعزّ من الجمال أن تكون نوبته.

فانطلق ابن الشريف لياتي المدينة، ففكّر في نفسه وقــال:

- أنـا لست أحسن عملا فما يُدخلني المدينة؟، ثم استحـيا أن يرجع إلى أصحابه بغير طعام، وهمّ بمفارقتهم، فانطلق حتى أسند ظهره إلى شجرة عظيمة، فغلبه النّوم فنام، فمرّ به رجـل من عظماء المدينة فـراقـه جمالـه و تـوسم فيـه شرف النّجار

فرقّ له ومنحه خمسمائة درهم. فكتب على باب المدينة: جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم، وأتى بالدّراهم إلى أصحابه.

فلما أصبحوا في اليوم الثالث، قالوا لابن التّاجر:
- انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئًا.

فانطلق ابن التّاجر فلم يزل حتى بصُر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت إلى الساحل فخرج إليها جماعة من التّجار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع، فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب، وقال بعضهم لبعض:

- ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيئًا حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا، مع أننا محتاجون إليه وسيرخص.

فخالف ابن التاجر الطريق وجاء إلى أصحاب المركب، فابتاع منهم ما فيه بمائة دينار نسيئة وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى، فلما سمع التّجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك من أيديهم فاربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم، وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي، وحمل ربحه إلى أصحابه، وكتب على باب المدينة: عقل يوم واحد ثمنه ألف درهم، فلما كان

اليوم الرابع قـــالوا لابن الملك:

- انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك.

فانطلق ابن الملك حتى أتى باب المدينة فجلس علـى دكّـة فـي باب المدينة.

و اتّفق بالقدر أن ملك تلك النّاحية مات ولم يُخلّف ولدا ولا أحدا ذا قرابة، فمرّوا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون. فانكروا حاله وشتمه البوّاب وقـــال له:

- من أنت يا لئيم وما يجلسك على باب المدينة؟ ولا نراك تحزن لموت الملك؟ وطرده البّواب عن الباب.

فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه، فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر به البوّاب فغضب وقـــال له:

- ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع؟ وأخذه فحبسه.

فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملّكونه عليهم، وكلّ منهم يتطاول أن يكون صاحب الأمر، ويختلفون فيما بينهم، فقـــال لهم البوّاب:

- إني رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا، فكلّمته فلم يجبني فطردته عن الباب، فلما عدت رأيتـه جالسا، فادخلته السّجن مخافة أن يكون عينا.

فبعثت أشراف المدينة إلى الغلام فجاءوا به وسالوه عن حاله وما أقدمه إلى مدينتهم، فقال:

- أنا ابن ملك فويران، وإنّه لمّا مات والدي غلبني أخي على الملك، فهربت من يده حذرا على نفسي حتى انتهيت إلى هذه الغابة.

فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيرا. ثم إنّ الأشراف اختاروا الغلام أن يملّكوه عليهم ورضوا به.

وكان لأهل تلك المدينة سنة إذا ملّكوا عليهم ملكا حملوه على فيل أبيض وطافوا به حوالي المدينة، فلما فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فامر أن يُكتب: إنّ الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرّجل في الدّنيا من خير أو شرّ إنّما هو بقضاء وقدر من الله عزّ وجلّ، وقد اعتبر ذلك بما ساق الله إليّ من الكرامة والخير.

ثم انطلق إلى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل إلى أصحابه الذين كان معهم فاحضرهم، فاشرك صاحب العقل مع الوزراء، وضمّ صاحب الاجتهاد إلى أصحاب الزرع وأمر لصاحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كي لا يُفتتن به.

ثم جمع علماء أرضه وذوي الرأي وقـــال لهم:

- أمّا أصحابي فقد تيقّنوا أنّ الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير إنّما هو بقضاء وقدر، وإنّما أحبّ أن تعلموا ذلك وتستيقنوه، فإنّ الذي منحني الله وهيّاه لي إنّما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد، وما كنت أرجو إذ طردني أخي أن يصيبني ما يعيّشني من القوت فضلا عن أن أصيب هذه المنزلة، وما كنت أؤمل أن أكون بها لأني قد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل منّي حسنا وجمالا، وأشدّ اجتهادا، وأحزم رأيا، فساقني القضاء إلى أن اعتززت بقدر من الله، وكان في ذلك الجمع شيخ، فنهض حتى استوى قائما، وقـــال:

- إنك قد تكلّمت بكلام كامل عقل وحكمة، وإنّ الذي بلغ بك، ذلك وفور عقلك وحسن ظنّك، وقد حقّقت ظنّنا بك ورجاءنا لك، وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت، والذي ساق الله إليك من الملك والكرامة كنت أهلا له، لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأي. وإنّ أسعد النّاس في الدّنيا والآخرة من رزقه الله رأيا وعقلا، وقد أحسن الله إلينا إذ وفّقك لنا عند موت ملكنا وكرّمنا بك.

مثل السائح

ثم قام شيخ آخر سائح فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه وقـــال:

- إني كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون سائحا، رجلا مـن أشراف الناس، فلما بدا لي رفض الدّنيا فارقت ذلك الرّجل، وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين فاردت أن أتصدق باحدهما وأستبقي الآخر.

فاتيت السّوق فوجدت مع رجل من الصّيّادين زوجي هدهد، فساومته فيهما فابى الصيّاد أن يبيعهما إلاّ بدينارين، فاجتهدت أن يبيعنيهما بدينار واحد فابى، فقلت في نفسي:

- اشتري أحدهما وأترك الآخر، ثم فكرت وقلت لعلّهما يكونان زوجين ذكرا وأنثى فافرّق بينهما، فادركني لهما رحمة، فتوكلّت على الله وابتعتهما بدينارين، وأشفقت إن أرسلتهما في أرض عامرة أن يصادا، ولا يستطيعا أن يطيرا ممّا لقيا من الجوع والهزل، ولم آمن عليهما الآفات.

فانطلقت بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار بعيد عـن الناس والعمران فارسلتهما فطارا ووقعا على شجـرة مثمرة،

فلما صارا في أعلاها شكرا لي، وسمعت أحدهما يقول للآخر:

- لقد خلّصنا هذا السّائح من البلاء الذي كنّا فيه واستنقذنا ونجّانا من الهلكة، وإنّا لخليقان أن نكافئه بفعله، وإنّ في أصل هذه الشّجرة جرّة مملوءة دنانير، أفلا ندلّه عليها فياخذها ؟، فقلت لهما:

- كيف تدلاني على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبّكة ؟، فقالا:

- إنّ القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشّيء وغشّى البصر، وإنّما صرف القضاء أعيننا عن الشّرك ولم يصرفها عن هذا الكنز.

فاحتفرت واستخرجت البرنيّة وهي مملوءة دنانير، فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما:

- الحمد لله الذي علّمكما ما لم تعلما، وأنتما تطيران في السّماء وأخبرتُماني بما تحت الأرض، فقالا لي:

- أيّها العاقل أما تعلم أنّ القدر غالب على كلّ شيء، لا يستطيع أحد أن يتجاوزه، وأنا أخبر الملك بذلك الذي رأيته، فإن أمر الملك أتيته بالمال فاودعته خزائنه.

قـــال الملك:

- ذلك لك وموّفر عليك؟.

ثم قـــال الفيلسوف للملك:

- ليعرف أهل النظر في الأمور والعمل بها أنّ الأشياء كلّها بقضاء وقدر، لا يجلب أحد منها إلى نفسه خيرا ولا يدفع عنها مكروها، وأنّ ذلك كله من الله عز وجل، وأنّ الله يفعل ما أراد ويقضي فيها ما أحبّ.

فلتسكن إلى ذلك الأنفس، ولتطمئنّ إليه القلوب، فإنّ ذلك لمن ألهمه الله ووفّق له، سعة وراحة.

Obeikandl.com

باب
الحمامة والثعلب
ومالك الحزين

obeikandl.com

باب
الحمامة و الثعلب
و مالك الحزين

قـــال الملك للفيلسوف:

- قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شان الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه.

قـــال الفيلسوف:

- إنّ مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

قـــال الملك:

- وما مثلهن؟.

قـــال الفيلسوف:

- زعموا أنّ حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة

obeikandl.com

في المساء، فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس النخلة، فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدّة وتعب ومشقة، لطول النخلة وسحقها، فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها، فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت علمه بقدر ما ينهض فراخها، فيقف باصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها أن يرقى إليها فتلقي إليه فراخها، فبينما هي ذات يوم أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم.

قال لها مالك الحزين:

- يا حمامة، مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال؟

فقالت له:

- يا مالك الحزين، إنّ ثعلبا دهيت به كلما كان لي فرخان جاءني يهددني ويصيح في أصل النخلة، فافرق منه وأطرح إليه فرخي.

قال لها مالك الحزين:

- إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له:

- لا ألقي إليك فرخيّ، فارق إلي وغرر بنفسك، فإذا فعلت

ذلك وأكلت فرخي، طرت عنك ونجوت بنفسي.

فلمّا علّمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر، فاقبل الثعلب في الوقت الذي عرف، فوقف تحتها، ثم صاح كما كان يفعل، فاجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين، فقــال لها الثعلب:

- أخبريني من علمك هذا ؟.

قــالت:

- علمني مالك الحزين.

فتوجه الثعلب حتى أتى مالك الحزين على شاطئ النهر، فوجده واقفا، فقــال له الثعلب:

- يا مالك الحزين، إذا أتتك الريح عن يمينك فاين تجعل رأسك ؟.

قــال:

- عن شمالي.

قــال:

- فإذا أتتك عن شمالك فاين تجعل رأسك ؟

قــال:

- أجعله عن يميني أو خلفي.

obeikandi.com

قـــال:

- فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فاين تجعله ؟

قـــال:

- أجعله تحت جناحي.

قـــال:

- وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك؟ وما أراه يتهيا لك.

قـــال:

- بـلى.

قـــال:

- فارني كيف تصنع؟ فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا، إنّكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ، وتدخلن رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والرّيح. فهنيئًا لكم، فارني كيف تصنع.

فادخل الطائر رأسه تحت جناحه، فوثب عليه الثعلب مكانه فاخذه وهمزه همزة دقّت عنقه.

ثم قـــال:

- يا عدوّ نفسه، ترى الرأي للحمامة، وتعلّمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن نفسك، حتى يستمكن منك عدوّك ثمّ أجهز عليه وأكله.

الخاتمة

فلما انتهى الملك والفيسلسوف إلى باب الناسك والضيف سكت الملك، وقــال الفيلسوف:

- عشت أيها الملك ألف سنة، وملكت الأقــاليم السبعة، وأعطيت من كل شيء سببا، وبلغته في سرور منك رعيتك، وقرة عين منهم بك، ومساعدة من القضاء والقدر.

فلقد كمل منك الحلم، وزكا منك العقل والقـول والنيّـة، فـلا يوجد في رأيك نقص، ولا في قولك سقط، ولا في فعلك عيب، وجمع فيك النجدة واللين، فلا توجد جبانا عند اللـقـاء، ولا ضيّق الصدر فيما ينوبك من الأشياء.

وقد شرحت لك الأمور، ولخصت لك الجواب ما الذي سالتني عنه، واجتهدت لك في رأيي، ونظرت بمبلغ فطنتي في التماس قضاء حاجتك، فاقض حقي بحسن النيّة منك بإعمال فكرك وعقلك فيما وصفت لك، فإنّ الآمر بالخير ليس باسعد بـه مـن المطيع له فيه، ولا الناصح باولى بالنصيحة من المنصوح لــه بـها، ولا المعلّم باسعد بالعلم ممن تعلّمه منه.

فمن تدبّر هذا الكتاب بعقله، وعمل فيه باصالة رأيه، ثــم فكّــر فيه كان قمِنًا للمراتب العظام والأمور الجسام.

والله يوفقك أيها الملك، ويصلح منك ما كان فاسدا.

فامر الملك عند ذلك بفتح أبواب خزائنه، وأن يحكم فيهـا الفيلسوف، فياخذ ما احتكم من الأموال ومن صنوف الـدرّ والجوهر والذهب والفضة، وألاّ يمنع شيئًا من ذلك، وأقطعه إقطاعا كثيرا ورفع درجته ومرتبته إلى الغايـة التــي لا يسمـوا إليهـا أحد من نظرائه.

openkandil.com

فهـرس المو ضو عـات

- عرض الكتـاب:..5

باب

❖ توجيه كسرى أنوشروَان برزويه إلى بلاد الهنـد:.................................... 17

باب

باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان: 33

باب

- باب الأسـد والثـور: 55
- مثل الشيخ وبنيه الثلاثة: 57
- مثل الرّجل والذئب واللصوص:..60
- مثل القرد والنجّار: 62
- مثل الثعلب والطبل: 71
- مثل الناسك واللص: 76
- مثل الغراب والأسود : 82
- مثل العلجوم و السرطان: 83
- مثل الأرنب والأسد : 87
- مثل السمكات الثلاث: 91
- مثل القملة والبرغوث: 95
- مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل: 104
- مثل وكيل البحر والطيطوي: 110
- مثل السلحفاة والبطتين: 111

obeikandl.com

- مثل الرّجل والطائر: 116
- مثل الخبّ والمغفل: 117
- مثل الجرذان وتاجر الحديد: 120

باب

❖ الفحص عن أمر دمنة: 123
- مثل المرأة والمصور والعبد والأمَة: 130
- مثل الطبيب والجاهل: 138
- مثل الرّجل وامرأتيه: 140
- مثل البازيار: 147

باب

❖ الحمامة المطوّقة: 151
- مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب: 154
- مثل السمسم المقشور وغير المقشر: 163
- مثل الذئب و الرّجل والقوس: 164

باب

❖ البوم والغربان: 175
- مثل الغراب والكركيّ: 182
- مثل الأرنب وملك الفيلة: 183
- مثل الأرنب والصفرد والسنور: 186
- مثل الجماعة والناسك وعريضه: 191

obeikandi.com

- مثل التاجر وامرأته والسارق: 195
- مثل الناسك واللص والشيطان: 196
- مثل الفأرة التي خيرت بين الأزواج: 198
- مثل الأسود وملك الضفادع: 203

بـاب

❖ القرد و الغيلم: 209
- مثل الأسد وابن آوى والحمار: 217

بـاب

❖ الناسك وابن عرس: 221
- مثل الناسك المخدوع: 225

بـاب

❖ الجرذ و السنور: 229

بـاب

❖ الملك والطائر قبّرة: 239

بـاب

❖ الأسد وابن آوى الناسك: 251

بـاب

❖ اللبوءة و الإسور و الشعهر: 267

بـاب

❖ إيلاذ وبلاذ وابراخت: 275

obeikandl.com

- مثل الحمامتين: 291
- مثل الرّجل وطبق العدس: 292

باب

❖ الناسك و الضيف: 299
- مثل الغراب الذي أراد أن يدرج كالحجلة: 303

باب

❖ السائح و الصائغ:.. 305
- مثل الحية والقرد والببر: 310

باب

❖ ابن الملك وأصحابه:.. 315
- مثل السائح: 324

باب

❖ الحمامة والثعلب ومالك الحزين: 327
- الخاتمة: 333
- فهرس الموضوعات: 335

obeikandi.com